البداية والنهاية

الإمام الحافظ

المفسر المحدث الفقيه المؤرخ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي

الشهير بابن كثير

(701 - 774) هـ

طبعة مضبوطة، موزعة الفقرات، مخرجة الأحاديث والنصوص، مصنوعة وملحقة بأشياء لم تذكر في السابق مقابلة على عدة من النسخ المطبوعة، فهرسة الآيات والأحاديث والتراجم والموضوعات

اعتنى به

حسان عبد المنان

بيت الأفكار الدولية

شعبان، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبوه، وكان يوماً مشهوداً بسط له، كما يبسط له إذا قدم من الديار المصرية، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلعوس، فهو أول من بسط له، وقد كسر أبوه التتر على حمص ولم يبسط له، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البلستين، وفي غير موطن ولم يبسط له، وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملوك، وفيها إسراف وضياع مال وأشر وبطر ورياء وتكليف للناس، وأخذ أموال ووضعها في غير مواضعها، والله سبحانه سائله عنها، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه،وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم، فليتق العبد ربه ولا يحدث في الإسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سبب مقت الله له،وإعراضه عنه، فإن الدنيا لا تدوم لأحد، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم.

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيرا، وكذلك رؤوس أصحابه، فدخل بهم دمشق وهم يحملون رؤوس أصحابهم على رؤوس الرماح، وجهز السلطان طائفة من الجيش نحو جبل كسروان والجَرد بسبب مما لأتهم للفرنج قديما على المسلمين، وكان مقدم العساكر بيدرا وفي صحبته سنقر الأشقر، وأقر سنقر المنصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهله حملوا في الليل إلى بيدرا حملا كثيراً ففتر في قضيتهم، ثم انصرف بالجيوش عنهم وعادوا إلى السلطان، فتلقاهم السلطان وترجل السلطان للأمير بيدرا وهو نائبه على مصر، ثم ابن السلعوس نبه السلطان على فعل بيدرا فلامه وعنفه، فمرض من ذلك مرضا شديداً أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات، ثم عوفي فعمل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان، وأشعل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية، وتصدق عنه بشيء كثير، ونزل هو عن ضمانات كثيرة كان قد حاف فيها على أربابها، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة أولها:

لك الراية الصفراء يقدمها النصر ... فمن كيقباذ إن رآها وكيخسرو
إذا خفقت في الأفق هدت بنورها ... هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى
وإن نشرت مثل الأصائل في وغىً ... جلا النقع من لألاء طلعتها البدر
وإن يممت زرق العدى سار تحتها ... كتائب خضر دوحها البيض والسُمر
كأن مثار النقع ليل وخفقها ... بروق وأنت البدر والفلك الجثر
وفتح أتى في إثر فتح كأنما ... سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم قطعت طوعاً وكرهاً معاقلاً ... مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر
بذلت لها عزماً فلولا مهابة ... كساها الحيا جاءتك تسعى ولا مهر
قصدت حمى من قلعة الروم لم يُبح ... لغيرك إذ غرتهم المغل فاغتروا
ووالوهم سراً ليخفوا أذاهم ... وفي آخر الأمر استوى السر والجهر
صرفت إليهم همة لو صرفتها ... إلى البحر لاستولى على مده الجزر
وما قلعة الروم التي حزت فتحها ... وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر
طليعة ما يأتي من الفتح بعدها ... كما لاح قبل الشمس في الأفق الفجر
فصبحتها بالجيش كالروض بهجة ... صوارمه أنهاره والقنا الزهر
وأبعدت بل كالبحر والبيض موجه ... وجرد المذاكي السفن والخرد الدُر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه ... أهلته والنبل أنجمه الزهر
وأخطات لا بل كالنهار شموسه ... محياك والآصال راياتك الصفر
ليوث من الأتراك آجامها القنا ... لها كل يوم في ذوي ظفر ظفر
فلا الريح تجري بينهم لاشتباكها ... عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
عيون إذا الحرب العوان تعرضت ... لخطابها بالنفس لم يغلها مهر
ترى الموت معقودا بهدب نبالهم ... إذا ما رماها القوس والنظر الشزر
ففي كل سرح غصن بان مُهفهف ... وفي كل قوس منه ساعد بدر
إذا صدموا شم الجبال تزلزلت ... واصبح سهلا تحت خيلهم الوعر
ولو وردت ماء الفرات خيولهم ... لقيل هنا قد كان فيما مضى نهر
أداروا بها سوراً فأضحت كخنصر ... لدى خاتم أو تحت منطقة خصر
وأرخوا إليها من بحار أكفهم ... سحاب ردى لم يخل من قطره قطر
كأن الجنايق التي قمن حولها ... رواعد سخط ويلها النار والصخر
أقامت صلاة الحرب ليلا صخورها ... فأكثرها شفع وأكبرها وتر
ودارت بها تلك النقوب فأشرفت ... وليس عليها في الذي فعلت حجر
فأضحت بها كالصب يخفي غرامه ... حذار أعاديه وفي قلبه جمر
وشبت بها النيران حتى تمزقت ... وباحت بما أخفته وانهتك الستر
فلاذوا بذيل العفو منك فلم يخب ... رجاهم ولو لم يشب قصدهم مكر
وما كره المغل اشتغالك عنهم ... بها عند ما فروا ولكنهم سروا
فأحرزتها بالسيف قصراً وهكذا ... فتوحك فيما قد مضى كله قسر
وأضحت بحمد الله ثغراً ممنعاً ... تبيد الليالي والعدى وهو مفتر
فيا أشرف الأملاك فزت بغزوة ... تحصل منها الفتح والذكر والأجر
ليهنك عند المصطفى أن دينه ... توالى له في يمن دولتك النصر
وبشراك أرضيت المسيح وأحمداً ... وإن غضب النقفور من ذاك والكفر
فسر حيث ما تختار فالأرض كلها ... بحكمك والأمصار أجمعها مصر
ودم وابق للدنيا ليحيى بك الهدى ... ويزهى على ماضي العصور بك العصر

حذفت منها أشياء كثيرة.

وفيها تولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروثي الواسطي، بعد وفاة زين الدين بن المرحل، وخطب واستسقى بالناس فلم يسقوا، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم، فلم يسقوا ثم ابتهل الناس من غير دعائه واستغاثه فسقوا.

ثم عزل الفاروثي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراني الحموي، كان خطيب حماة ثم انتقل إلى دمشق في هذه السنة، فقام وخطب وتألم الفاروثي لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه،فإذا هو قد شعر بذلك واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه، فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مائة ركعة بمائة ﴿قل هو الله أحد﴾، فلم يقبلوا ذلك منه واستمروا بالحموي. وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروثي، وأصاب السلطان في عزله.

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره فهرب

هو والأمير حسام الدين لاجين السلحدار، فنادت عليه المنادية بدمشق من أحضره فله ألف دينار، ومن أخفاه شنق، وركب السلطان ومماليكه في طلبه، وصلى الخطيب بالناس في الميدان الأخضر، وعلى الناس كآبة بسبب تفرق الكلمة، واضطراب الجيش، واختبط الناس، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سنقر الأشقر فردوه على السلطان فارسله مقيدا إلى مصر.

وفي هذا اليوم ولى السلطان نيابة دمشق عز الدين أيبك الحموي، عوضا عن الشجاعي، وقدم الشجاعي من الروم في هذا اليوم الثاني من عزله فتلقاه الفاروثي فقال: قد عزلنا من الخطابة، فقال ونحن من النيابة، فقال الفاروثي: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٩].

فلما بلغ ابن السعلوس تغضب عليه وكان قد عين له القيمرية فترك ذلك.

وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها في أبهة الملك، وفي يوم دخوله أقطع قرا سنقر مائة فارس بمصر عوضا عن نيابة حلب.

وفي هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشرفي قيسارية القطن المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال، بمرسوم من السلطان، وكان حظيا عنده، ونقل سوق الحريريين تلك المدة إليها، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدواداري بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة، وأقطعه مائة فارس، وولاه مشد الدواوين مكرها.

وفي ذي القعدة استحضر السلطان سنقر الأشقر وطقصوا فعاقبهما فاعترفا بأنهما أرادا قتله، فسألهما عن لاجين فقالا: لم يكن معنا ولا علم له بهذا، فخنقهما وأطلقه بعد ما جعل الوتر في حلقه، وكان قد بقي له مدة لا بد أن يبلغها، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي ذي الحجة عقد الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضي القضاة شهاب الدين ابن الخويي بالبانرائية،وكان حافلا.

وفيها دخل الأمير سنقر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلعوس على صداق ألف دينار، وعجل لها خمسمائة.

وفيها قفز جماعة من التتر نحواً من ثلاثمائة إلى الديار المصرية فأكرموا.

وممن توفي فيها من الأعيان

الخطيب زين الدين أبو حفص

■ **عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل**، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل، سمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى، منها علم الهيئة وله فيه مصنف، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول، وصلي عليه من الغد بباب الخطابة.

الشيخ

■ **عز الدين الفاروثي**: ولي الخطابة قليلا ثم عزل ثم مات ودفن بباب الصغير عفا الله عنا وعنه.

الصاحب فتح الدين أبو عبد الله

■ **محمد بن محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر**: كاتب الأسرار في الدولة المنصورية بعد ابن لقمان وكان ماهراً في هذه الصناعة، وحظي عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف، وقد طلب منه ابن السلعوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه، فقال: هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم، وأبصروا لكم غيري يكون معكم بهذه المثابة، فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه منه وازدادت عنده منزلته.

توفي يوم السبت نصف رمضان، وأخرجت في تركته قصيدة قد رثا بها تاج الدين بن الأثير وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فعوفي فبقيت بعده، وتولى ابن الأثير عنده ورثاه تاج الدين كما رثاه وتوفي ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام.

■ **يونس بن علي بن رضوان بن برقش**: الأمير عماد الدين، كان أحد الأمراء الطبلخانة في الدولة الناصرية، ثم حمل وبطل الجندية بالكلية في الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة، وكان الظاهر يكرمه، توفي في شوال ودفن عند والده بتربة الحزميين رحمهم الله.

جلال الدين الخبازي:

■ **عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخجندي** أحد مشايخ الحنفية الكبار، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة، واشتغل ودرس بخوارزم، وأعاد ببغداد، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية والخاتونية البرانية، وكان فاضلا بارعا مصنفاً في فنون كثيرة، توفي لخمس بقين من ذي الحجة منها، وله ثنتان وستون سنة، ودفن بالصوفية.

الملك المظفر:

■ **قرا أرسلان الأرتقي**، صاحب ماردين، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة

في تاريخ ظهير الدين الكازروني ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفتها،إلا أن هذه النار كان يعلو لهيبها كثيراً، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف، واستمرت ثلاثة أيام.

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي.

وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا، وبالشام عز الدين أيبك الحموي.

وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها، والوزير شمس الدين بن السلعوس.

وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر، وجهز الجيوش وتهيأ لغزو بلاد سيس، وقدم في غبون ذلك رسل صاحب بلاد سيس يطلبون الصلح، فشفع الأمراء فيهم فسلموا بهسنا وتل حمدون ومرعش، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها، وهي في فم الدربند.

ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين، فأضافه الأمير مهنا بن عيسى، فلما انقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين، وكان عنده، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى، وولى مكانه محمد بن علي بن حذيفة، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية صحبة نائبه بيدرا، ووزيره ابن السلعوس، وتأخر هو في خاصكيته ثم لحقهم.

وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالتشريك

بين العلويين والجعفريين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرم، بدار العدل، ولم يوافقه ابن الخوبي ولا غيره، وحكم للأعناكيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار.

وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وأنفعها، وإنما خربها عن رأي عتبة العقبي، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين، لأنها كانت شجى في حلوق الأعراب الذين هناك.

وفيها أرسل السلطان الأمير علم الدين الدواداري إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة جداً، فلم يتفق خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق.

وفي عاشر جمادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية. وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة يوم الاثنين ظهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور، وعُمل مهمٌ عظيم ولعب الأشرف بالقبق وتمت لهم فرحة هائلة، وكانت كالوداع لسلطنته من الدنيا.

وفي أول المحرم درس الشيخ شمس الدين بن غانم بالعصرونية.

وفي مستهل صفر درس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة، ودخل الركب الشامي في خامس صفر.

وكان ممن حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وكان أميرهم الباسطي ونالهم في معان ريح شديدة جداً مات بسببها جماعة، وحملت الريح جمالا عن أماكنها، وطارت العمائم عن الرؤوس، واشتغل كل أحد بنفسه.

وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أفسد شيئا كثيراً من المغلات بحيث بيع القمح كل عشر أواق بدرهم، ومات شيء كثير من الدواب.

وفيه زلزلت ناحية الكرك وسقط من قلعتها أماكن كثيرة.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ **الأرموي**: الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن إبراهيم بن سلمان بن البنكر الأرموي، المقيم بزاويته بسفح قاسيون، كان فيه عبادة وانقطاع وله أوراد وأذكار، وكان محببا إلى الناس، توفي بالمحرم ودفن عند والده بالسفح.

■ **ابن الأعمى صاحب المقامة**: كمال الدين علي بن الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى، ولد سنة عشر وستمائة، وسمع الحديث وكان فاضلا بارعا، له قصائد يمتدح بها رسول الله ﷺ سماها الشفعية، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتا.

قال البرزالي: سمعته وله المقامة البحرية المشهورة، توفي في المحرم ودفن بالصوفية.

الملك

■ **الزاهر مجير الدين**: أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المعظم، توفي ببستانه عن ثمانين سنة، وصلي عليه بالجامع المظفري، ودفن بتربته بالسفح، وكان ديناً كثير الصلاة في الجامع، وله إجازة من المؤيد الطوسي وزينب الشعرية وأبي روح وغيرهم. توفي في جمادى الآخرة.

الشيخ تقي الدين الواسطي: أبو إسحاق

■ **إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي** تقي الدين، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق، توفي يوم الجمعة آخر النهار رابع عشرين جمادى الآخرة عن تسعين سنة، وكان رجلا صالحا عابدا، تفرد بعلو الرواية، ولم يخلف بعده مثله، وقد تفقه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالصاحبة مدة عشرين سنة، وبمدرسة أبي عمر، وولي في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروثي.

وكان داعية إلى مذهب السلف والصدر الأول، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله، وقد درس بعده بالصاحبة الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي، وبدار الحديث الظاهرية شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناصح.

ابن صاحب حماة الملك

■ **الأفضل**: نور الدين علي ابن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، توفي بدمشق وصلي عليه بجامعها، وخرج به من باب الفراديس محمولا إلى مدينة أبيه وتربتهم بها، وهو والد الأميرين الكبيرين بدر الدين حسن وعماد الدين إسماعيل الذي تملك حماة بعد جدِّه.

■ **ابن عبد الظاهر: محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي**، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه، وسبق سائر أقرانه، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده.

وقد كانت له مصنفات منها سيرة الملك الظاهر، وكان ذا مروءة، وله النظم الفائق والنثر الرائق.

توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرافة.

الأمير علم الدين

■ **سنجر الحلبي**: الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه فبويع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر وهرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف، واحترمه وأكرمه، بلغ الثمانين سنة، وتوفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة

في أولها كان مقتل الأشرف، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم، فلما كان بأرض يروجة بالقرب من الإسكندرية ثاني عشر المحرم، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش، فأول من ضربه نائبه بيدرا، وتم عليه لاجين المنصوري، ثم اختفى إلى رمضان، ثم ظهر يوم العيد، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر

الدين بيسري وشمس الدين قراسنقر المنصوري.

فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تمليك بيدرا، وسموه الملك القاهر أو الأوحد، فلم يتم له ذلك، فقتل في اليوم الثاني بأمر كتبغا، ثم اتفق زين الدين كتبغا، وعلم الدين سنجر الشجاعي على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم، وكان الوزير ابن السلعوس بالإسكندرية، وكان قد خرج في صحبة السلطان وتقدم هو إلى الإسكندرية فلم يشعر إلا وقد أحاط به البلاء، وجاءه العذاب من كل ناحية، وذلك أنه كان يعامل الأمراء الكبار معاملة الصغار، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعي فضرب ضربا عظيما، وقرر على الأموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته في عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله كلها.

وأحضر جسد الأشرف فدفن بتربته، وتألم الناس لفقده وأعظموا قتله، وقد كان شهما شجاعا عالي الهمة حسن المنظر، كان قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار، واستعد لذلك ونادى به في بلاده، وقد فتح في مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل، ولم يترك للفرنج فيها معلما ولا حجراً، وفتح قلعة الروم وبهسنا وغيرها.

فلما جاءت بيعة الملك الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر، واستقر الحال على ذلك، وجعل الأمير كتبغا أتابكه، والشجاعي مشاوراً كبيراً، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل، وحمل رأسه إلى كتبغا فأمر أن يطاف به في البلد، ففرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا، ولم يبق لكتبغا منازع، ومع هذا كان يشاور كبار الأمراء تطييبا لقلوبهم.

وفي صفر بعد موت ابن السلعوس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين ابن بنت الأعز واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر في كفاية ورياسة.

وتولى الوزارة بمصر الصاحب تاج الدين بن الحنا.

وفي ظهر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر رتب إمام بمحراب الصحابة، وهو كمال الدين عبد الرحمن ابن القاضي محيي الدين بن الزكي، وصلى بعدئذ بعد الخطيب، ورتب بالمكتب الذي بباب الناطفانيين إمام أيضاً، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الإسكندري، وباشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه،وأخلوا قيسارية القطن الذي كان نواب طُقجي ألزموهم بسكناها، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي، بعد عزل موفق الدين الحموي دعوه إلى حماة فخطب المقدسي يوم الجمعة نصف رجب، وقرئ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر، وكان فصيحا بليغا عالما بارعا.

وفي أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كتبغا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون، وسارت البيعة بذلك في سائر المدن المعاقل.

واقعة عساف النصراني

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجي أمير آل علي، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب السلطنة فكلماه في أمره فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم - يعني النصراني - فرجموا الناس بالحجارة، وأصابت عسافا ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضربهما بين يديه، ورسم عليهما في العذراوية وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة، فحقن دمه، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ﷺ قتله ابن أخيه هنالك، وصنف الشيخ تقي الدين بن تيمية في هذه الواقعة كتابه الصارم المسلول على ساب الرسول.

وفي شعبان منها ركب الملك الناصر في أبهة الملك وشق القاهرة، وكان يوما مشهوداً، وكان هذا أول ركوبه، ودقت البشائر بالشام وجاء المرسوم من جهته، فقرئ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطي الظلم، وإبطال ضمان الأوقاف والأملاك إلا برضى أصحابها.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان درس بالمسرورية القاضي جمال الدين القزويني، أخو إمام الدين، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين بن الخويي، والشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان درسا حافلا.

قال البرزالي: وفي شعبان اشتهر أن في الغيطة بجسرين تنينا عظيما ابتلع رأسا من المعز كبيراً صحيحاً.

وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين، وكان مختفيا منذ قتل الأشرف فاعتذر له عند السلطان فقبله وخلع عليه وأكرمه، ولم يكن قتله باختياره.

وفي شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر، وانحاز إلى التتر.

وفي يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة درس بالغزالية الخطيب شرف الدين المقدسي عوضا عن قاضي القضاة شهاب الدين بن الخويي، لما توفي وترك الشامية البرانية، وقدم على قضاء الشام القاضي بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجة، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكماله لتلقيه، وامتدحه الشعراء، واستناب تاج الدين الجعبري نائب الخطابة وباشر تدريس الشامية البرانية، عوضا عن شرف الدين المقدسي، الشيخ زين الدين الفارقي، وانتزعت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة.

وبالعادلية في العشرين من ذي الحجة، وفي هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى الفلاة بأمر واليها جمال الدين أقباي، وشدد على الناس والبوابين بذلك.

وممن توفي فيها من الاعيان

الملك الأشرف

- خليل بن قلاوون المنصور.
- و بيدرا.
- و الشجاعي.
- و شمس الدين بن السلعوس.

الشيخ الإمام العلامة: تاج الدين

- موسى بن محمد بن مسعود المراغي، المعروف بأبي الجواب الشافعي،

درس بالإقبالية وغيرها وكان من فضلاء الشافعية، له يد في الفقه والأصول والنحو وفهم جيد، توفي فجأة يوم السبت، ودفن بمقابر باب الصغير، وقد جاوز السبعين.

الخاتون

■ **مؤنسة بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب:** وتعرف بدار القطبية، وبدار إقبال، ولدت سنة ثلاث وستمائة، وروت بالإجازة عن عفيفة الفارفانية، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة، ودفنت بباب زويلة.

الصاحب الوزير فخر الدين: أبو إسحاق

■ **إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني المصري** رأس الموقعين، وأستاذ الوزراء المشهورين، ولد سنة ثنتي عشرة وستمائة، وروى الحديث، وتوفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة.

الملك الحافظ غياث الدين محمد: الملك

■ **السعيد معين الدين ابن الملك الأمجد بهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب،** وكان فاضلا بارعاً، سمع الحديث وروي البخاري، وكان يحب العلماء والفقراء، توفي يوم الجمعة سادس شعبان، ودفن عند جده لأمه ابن المقدم، ظاهر باب الفراديس.

قاضي القضاة شهاب الدين

■ **ابن الخويي:** أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى بن محمد الشافعي، أصلهم من خوي.

اشتغل وحصل علوما كثيرة، وصنف كتبا كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً، وله نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغير ذلك، وقد سمع الحديث الكثير، وكان محبا له ولأهله، وقد درس وهو صغير بالدماغية، ثم ولي قضاء القدس، ثم المحلة، ثم بهسنا، ثم ولي قضاء حلب، ثم عاد إلى المحلة، ثم ولي قضاء القاهرة، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والغزالية وغيرهما.

وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام، عفيفاً نزهاً بارعا محباً للحديث وعلمه وعلمائه، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزي أربعين حديثا متباينة الإسناد، وخرج له تقي الدين بن عتبة الإسعردي مشيخة على حروف المعجم، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيخا.

قال البرزالي: وله نحو ثلاثمائة شيخ لم يذكروا في المعجم.

توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان، عن سبع وستين سنة، وصلي عليه ودفن من يومه بتربة والده بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

الأمير

■ **علاء الدين الأعمى:** ناظر القدس وباني كثيرا من معالمه اليوم، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيدكين بن عبد الله الصالحي النجمي، كان من أكابر الأمراء، فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولى نظره فعمّره وثمّره وكان مهيبا لا تخالف مراسيمه، وهو الذي بنى المطهرة قريبا من مسجد النبي ﷺ فانتفع الناس بها في الوضوء وغيره، ووجد بها الناس تيسيرا، وابتنى بالقدس ربطا كثيرة، وآثاراً حسنة، وكان يباشر الأمور بنفسه، وله حرمة وافرة، توفي في شوال منها.

الوزير شمس الدين

■ **محمد بن عثمان بن أبي الرجال التوخي،** المعروف بابن السلعوس، وزير الملك الأشرف، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقرعة، في عاشر صفر من هذه السنة، ودفن بالقرافة، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك.

وكان ابتداء أمره تاجرا، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين توبة، ثم كان يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولاه الوزارة، وكان يتعاظم على أكابر الأمراء، ويسميهم بأسمائهم، ولا يقوم لهم، فلما قتل أستاذه الأشرف تسلموه بالضرب والإهانة وأخذ الأموال، حتى أعدموه حياته، وصبروه وأسكنوه الثرى، بعد أن كان عند نفسه قد بلغ الثريا، ولكن حقا على الله أنه ما رفع شيئا إلا وضعه.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله. وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وأشهرا، ومدبر الممالك وأتابك العساكر الأمير زين الدين كتبغا، ونائب الشام الأمير عز الدين أيبك الحموي، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي، وشادُّ الدواوين شمس الدين الأعسر، وقاضي الشافعية ابن جماعة، والحنفية حسام الدين الرازي، والمالكية جمال الدين الزواوي، والحنابلة شرف الدين حسن، والمحتسب شهاب الدين الحنفي، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، ووكيل بيت المال وناظر الجامع تاج الدين الشيرازي، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي.

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من مماليك الأشرف وخرقوا حرمة السلطان وأرادوا الخروج عليه، وجاؤوا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه، ثم احتيط عليهم، فمنهم من صلب ومنهم من شنق، وقطع أيدي آخرين منهم وألستهم، وجرت خبطة عظيمة جدا، وكانوا قريبا من ثلاثمائة أو يزيدون.

ذكر سلطنة الملك العادل كتبغا

وأصبح الأمير كتبغا في اليوم الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور، وألزمه بيت أهله، وأن لا يخرج منه، وبايعه الأمراء على ذلك، وهنؤوه ومد سماطا حافلا، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم، فبويع له وخطب له مستقلا وضربت السكة باسمه، وتم الأمر وزينت البلاد، ودقت البشائر، ولقب بالملك العادل، وكان عمره إذ ذاك نحواً من خمسين سنة، فإنه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من العُويراتية، وهم طائفة من التتر، واستناب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، وكان بين يديه مدبر المماليك.

وقد ذكر ابن الجزري في تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو قان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذي يملك الديار المصرية، فضرب وحسب وقال له: أجده رجلا يملكها اسمه كتبغا فظنه كتبغا نوين، وهو صهر هولاكو، فقدمه على العساكر فلم يكن هو، فقتل في عين جالوت كما ذكرنا، وأن الذي ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة، وقصدا في نصرة الإسلام.

وفي يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول ركب كتبغا في أبهة الملك، وشق القاهرة ودعا له الناس وعزل الصاحب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة وولى فخر الدين بن الخليلي، واستسقى الناس بدمشق عند مسجد القدم، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسي، وكان مريضاً فعزل نفسه عن القضاء، وخطب الناس بعد ذلك، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، فلم يسقوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور، وخطب بهم الشيخ شرف الدين المقدسي الخطيب وكان الجمع أكثر من أول، فلم يسقوا.

وفي رجب حكم جمال الدين بن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة.

وفيه درس بالمعظمية القاضي شمس الدين بن العز، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق.

وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحد بن الملك الناصر داود بن المعظم.

وفي رمضان رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الإمام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث محراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعا في وقت واحد، فحصل تشويش بسبب ذلك، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الإمام الكبير، في وقت صلاة مشهد علي بالصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي.

قلت: وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمائة كما سيأتي.

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن صصرّي من الديار المصرية على قضاء العساكر بالشام.

وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال صلى القاضي بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماما وخطيبا عوضا عن الخطيب المقدسي شرف الدين المقدسي، ثم خطب من الغد وشكرت خطبته وقراءته، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره.

وفي أواخر شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدريس الغزالية لابن صَصْرَى عوضا عن الخطيب المقدسي وتوقيع بتدريس الأمينية لإمام الدين القزويني عوضا عن نجم الدين بن صصرى، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرانية عوضا عنه.

وفي شوال كملت عمارة الحمام الذي أنشأه عز الدين الحموي بمسجد القصب، وهو من أحسن الحمامات، وباشر مشيخة دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن العطار عوضا عن شرف الدين المقدسي.

وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك العادل كتبغا، وتصدقوا بصدقات كثيرة في الحرمين وغيرهما.

ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل الذمة خيلا ولا بغالا، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الذمة قد خالف ذلك فله سلبه.

وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بديار مصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفا.

وفيها ملك التتار، قازان بن ارغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز رحمه الله، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السبح والمياكل مع التتار والحمد لله وحده.

وفيها توفي من الاعيان

الشيخ

■ **أبو الرجال المنيني:** الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مري من بمتر المنيني، كانت له أحوال ومكاشفات، وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده، وكان بريئا من هذه السماعات الشيطانية، وكان تلميذ الشيخ جندل، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً.

وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة، وتوفي بمنين في منزله في عاشر المحرم، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فمنهم من أدركها ومن الناس من لم يدرك فصلى على القبر ودفن بزاويته رحمه الله تعالى.

وفيها في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عساف بن أحمد بن حجّي الذي كان قد أجاز ذلك النصراني الذي سب الرسول علية السلام قتل ففرح الناس بذلك.

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع: بقية السلف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد

■ **ابن الحرستاني** ابن قاضي القضاة، وخطيب الخطباء، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد.

سمع الحديث وناب عن أبيه في الإمامة وتدريس الغزالية، ثم ترك المناصب والدنيا، وأقبل على العبادة، وكان للناس فيه اعتقاد حسن صالح، يقبلون يده ويسألونه الدعاء، وقد جاوز الثمانين، ودفن بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر.

الشيخ

■ **محب الدين الطبري المكي الشافعي:** سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة، من ذلك كتاب الأحكام في مجلدات كثيرة مفيدة، وله كتاب على ترتيب جامع المسانيد أسمعه لصاحب اليمن.

وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وست مئة، ودفن بمكة، وله شعر جيد فمنه قصيدته في المنازل التي بين مكة والمدينة تزيد على ثلاثمائة بيت، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه.

الملك

■ **المظفر صاحب اليمن يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول:** أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعا وأربعين سنة، وعمر ثمانين سنة، وكان أبوه قد ولى أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقسيس بن الكامل محمد.

وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقسيس، فلما مات أقسيس وثب على الملك فتم له الأمر وتسمى بالملك المنصور، واستمر أزيد من عشرين سنة، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف نجم الدين فلم يمكث سنة حتى مات، ثم قام أخوه المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مدة، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وكان يحب الحديث وسماعه، وقد جمع لنفسه أربعين حديثا.

■ شرف الدين المقدسي: الشيخ الإمام الخطيب المدرس المفتي، شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي.

ولد سنة ثنتين وعشرين وستمائة، وسمع الكثير وكتب حسنا وصنف فأجاد وأفاد، وولي القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق، وكان مدرس الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة.

ودرس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية، وكان يفتخر بذلك ويفرح به ويقول: أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء.

وكان يتقن فنونا كثيرة من العلوم، وله شعر حسن، وصنف كتابا في أصول الفقه جمع فيه شيئا كثيرا، وهو عندي بخطه الحسن، توفي يوم الأحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه، وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزاري خطيب جامع جراح ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة.

ومن شعر الخطيب شرف الدين بن نعمة المقدسي:

احججْ إلى الزهرِ لتسعى بهِ ... وارمِ جمارَ الهمِّ مستنفرا

من لم يطف بالزهرِ في وقته ... من قبل أن يحلق قد قصرا

واقف الجوهرية الصدر نجم الدين أبو بكر

■ محمد بن عياش بن أبي المكارم التميمي الجوهري، واقف الجوهرية على الحنفية بدمشق توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين، وكانت له خدم على الملوك، فمن دونهم.

الشيخ الإمام العالم المفتي الخطيب الطبيب، مجد الدين أبو محمد

■ عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن مسحون التوخي الحنفي: خطيب النيرب ومدرس الدماغية للحنفية، وكان طبيباً ماهراً حاذقا، توفي بالنيرب وصلي عليه بجامع الصالحية، وكان فاضلا وله شعر حسن، وروى شيئاً من الحديث، توفي ليلة السبت خامس ذي القعدة عن خمس وسبعين سنة.

■ الفاروثي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محيي الدين إبراهيم بن عمر بن الفرج بن سابور بن علي بن غنيمة الفاروثي الواسطي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث ورحل فيه، وكانت له فيه يد جيدة، وفي التفسير والفقه والوعظ والبلاغة.

وكان دينا ورعا زاهداً، قدم إلى دمشق في دولة الظاهر فأعطي تدريس الجاروخية وإمام مسجد ابن هشام، ورتب له فيه شيء على المصالح، وكان فيه إيثار وله أحوال صالحة، ومكاشفات كثيرة.

تقدم يوما في محراب مسجد ابن هشام ليصلي بالناس فقال - قبل أن يكبر للإحرام والتفت عن يمينه - فقال: اخرج فاغتسل،فلم يخرج أحد، ثم كرر ذلك ثانية وثالثة، فلم يخرج أحد،فقال: يا عثمان اخرج فاغتسل فخرج رجل من الصف فاغتسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذر إليه، وكان الرجل صالحا في نفسه، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصا، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل، فلما قال الشيخ ما قال: اعتقد أنه يخاطب غيره، فلما عينه باسمه علم أنه المراد.

ثم قدم الفاروثي مرة أخرى في أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب بجامع دمشق مدة شهور، ثم عزل بموفق الدين بن الحموي، وتقدم ذكر ذلك.

وكان قد درس بالنجيبية وبدار الحديث الظاهرية، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه، فمات بكرة يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة، وكان يوم موته يوما مشهوداً بواسط، وصلي عليه بدمشق وغيرها رحمه الله، وكان قد لبس خرقة التصوف من السهروردي، وقرأ القراءات العشرة وخلف ألفي مجلد ومائتي مجلد، وحدث بالكثير.

وسمع منه البرزالي كثيراً صحيح البخاري وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند عبد بن حميد، ومعجم الطبراني الصغير، ومسند الدارمي وفضائل القرآن لأبي عبيد، وثمانين جزءاً وغير ذلك.

الجمال المحقق

■ أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي، وبرع فيه وأفتى وأعاد، وكان فاضلا في الطب، وقد ولي مشيخة الدخوارية لتقدمه في صناعة الطب على غيره، وعاد المرضى بالمارستان النوري على قاعدة الأطباء، وكان مدرسا للشافعية بالفرُخشاهية، ومعيدا بعدة مدارس، وكان جيد الذهن مشاركا في فنون كثيرة سامحه الله.

■ الست خاتون بنت الملك الأشرف: موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل، وهي التي أثبت سفهها زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حَرْزَما وأخذت الزنبقية من زين الدين السامري.

الصدر جمال الدين

■ يوسف بن علي بن مهاجر التكريتي: أخو الصاحب تقي الدين توبة، ولي حسبة دمشق في وقت، ودفن بتربة أخيه بالسفح، وكانت جنازته حافلة، وكان له عقل وافر، وثروة ومروءة، وخلف ثلاث بنين: شمس الدين محمد، وعلاء الدين علي، وبدر الدين حسن.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي.

وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتبغا، ونائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، ووزيره فخر الدين بن الخليلي.

وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام عز الدين الحموي، ووزيره تقي الدين توبة.

وشاد الدواوين الأعسر، وخطيب البلد وقاضيها ابن جماعة.

وفي المحرم ولي نظر الأيتام نجم الدين بن هلال، عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجي.

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً، وقد تفانى الناس إلا القليل، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس، والأسعار في غاية الغلاء، والأقوات في غاية القلة والغلاء، والموت عَمَّال، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا.

ووقع غلاء بالشام، فبلغت الغرارة إلى مائتين، وقدمت طائفة من التتر العُيراتية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لأنه منهم،فتلقاهم الجيش بالرحب والسعة،ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسنقر المنصوري.

وجاء الخبر باشتداد الغلاء والفناء بمصر، حتى قيل إنه بيع الفروج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهما، وبالقاهرة بتسعة عشر، والبيض كل ثلاثة بدرهم، وأفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب من أكل الناس لها، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه.

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولي قضاء القضاة بمصر الشيخ الإمام العلامة تقي الدين بن دقيق العيد، عوضاً عن تقي الدين ابن بنت الأعز، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة ولله الحمد.

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقيمرية، عوضا عن صدر الدين بن رزين الذي توفي.

قال البرزالي: وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام، مؤذن المسجد الحرام، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة، وكان قد روى شيئا من الحديث.

وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الأشكري إلى دمشق في أواخر رمضان، فبعث إليها نائب البلد بالهدايا والتحف، ورتبت لها الرواتب والإقامات، وكان قد تفاهم خليل بن المنصور لما ولي السلطنة.

قال ابن الجزري: وفي رجب درس كمال الدين بن القلانسي بالظاهرية البرّانية عوضاً عن جلال الدين القزويني.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الحراني بالمدرسة الحنبلية، عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجى توفي إلى رحمة الله، ونزل ابن تيمية عن حلقة العماد بن المنجا لشمس الدين بن الفخر البعلبكي.

وفي آخر شوال ناب القاضي جمال الدين الزرعي الذي كان حاكما بزرع، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرعي عن ابن جماعة بدمشق، فشكرت سيرته.

وفيها خرج السلطان كتبغا من مصر قاصدا الشام في أواخر شوال، ولما جاء البريد بذلك ضربت البشائر بالقلعة، ونزلوا بالقلعة السلطان ونائبه لاجين، ووزيره ابن الخليلي.

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي عوضاً عن شرف الدين مات رحمه الله تعالى وخلع عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات الكبار وأكابر الأمراء.

وولي نجم الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال، عوضاً عن ابن الشيرازي، وخلع عليه مع الجماعة، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه، وخلق من الكتبة والولاة، وصودروا بمال كثير، واحتيط على أموالهم وحواصلهم، وعلى ابن السلعوس وابن عدنان وخلق.

وجرت خبطة عظيمة، وقدم ابنا الشيخ علي الحريري حسن وشيث من بسر لزيارة السلطان فحصل لهما منه رفد وإسعاف وعادا إلى بلدهما، وضيفت القلندرية السلطان بسفح جبل المزة، فأعطاهم نحواً من عشرة آلاف، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان، ولعب معه الكرة بالميدان، واشتكت الأشراف من نقيبهم زين الدين بن عدنان، فرفع الصاحب يده عنهم، وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي.

فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة الخطابة، وعن يمينه صاحب حماة، وتحته بدر الدين أمير سلاح، وعن يساره أولاد الحريري حسن وأخواه، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي، وتحته بدر الدين بيسري، وتحته قراسنقر، وإلى جانبه الحاج بهادر، وخلفهم أمراء كبار، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية.

ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان، وزار السلطان المصحف العثماني، ثم أصبح يوم السبت فلعب الكرة بالميدان على العادة.

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام، وعاتبه السلطان عتابا كثيرا على أشياء صدرت منه، ثم عفا عنه، وأمره بالمسير معه إلى مصر، واستناب بالشام الأمير سيف الدين غرلو العادلي، وخلع على المولى وعلى المعزول أيضاً، وحضر السلطان دار العدل، وحضر عنده الوزير والقضاة والأمراء، وكان عادلا كما سمي وفيه تولى الوزارة شهاب الدين الحنفي عوضاً عن التقي ابن البيّع التكريتي، وولّى تقي الدين بن شهاب الدين الحسبة عوضاً عن أبيه وخلع عليهما.

ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذي الحجة واجتاز على جوسيّة، ثم أقام بالبرية أياما، ثم عاد فنزل حمص، وجاء إليه نواب البلاد، وجلس الأمير غرلو نائب دمشق بدار العدل فحكم وعدل، وكان محمود السيرة، سديد الحكم، رحمه الله تعالى.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ زين الدين

■ **ابن مُنجّا: الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين، الصدر الكامل، زين الدين أبو البركات بن المنجّا بن الصدر عز الدين أبي عمرو عثمان بن أسعد بن المنجّا بن بركات بن المؤمّل التنوخي**، شيخ الحنابلة وعالمهم، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث وتفقه، فبرع في فنون من العلم كثيرة، من الأصول والفروع، والعربية، والتفسير وغير ذلك، وانتهت إليه رياسة المذهب، وصنف في الأصول، وشرح المقنع، وله تعاليق في التفسير.

وكان قد جمع له بين حسن السمت، والديانة والعلم، والوجاهة، وصحة الذهن والعقيدة، والمناظرة، وكثرة الصدقة، ولم يزل يواظب الجامع للاشتغال متبرعاً، حتى توفي في يوم الخميس رابع شعبان، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البهاء، بنت صدر الدين الخجندي، وصلى عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق، وحملا جميعا إلى سفح قاسيون، شمالي الجامع المظفري تحت الروضة، فدفنا في تربة واحدة، رحمهما الله تعالى، وهو والد قاضي القضاة علاء الدين، وكان شيخ المسمارية، ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بعده الشيخ تقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث.

■ **المسعودي صاحب الحمام بالمزة: أحد كبار الأمراء، الأمير الكبير** بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي، أحد الأمراء المشهورين بخدمة الملوك، توفي ببستانه بالمزة يوم السبت سابع عشرين من شعبان، ودفن صبح يوم الأحد بتربته بالمزة، وحضر نائب السلطنة جنازته، وعمل عزاؤه تحت النسر بجامع دمشق رحمه الله تعالى.

الشيخ الخالدي: الشيخ الصالح

■ **إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي**، له زاوية خارج باب السلامة، كان يقصد فيها للزيارة، وكان مشتملا على عبادة وزهادة، وكان لا يقوم لأحد من الناس، ولو كان من كان، وعنده سكون وخشوع، ومعرفة بالطريق، وكان لا يخرج من منزله إلا للجمعة، حتى كانت وفاته في النصف من رمضان، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى.

الشرف حسن المقدسي: هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الشيخ الإمام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن

الشيخ أبي عمر المقدسي، سمع الحديث وتفقه، وبرع في الفروع واللغة، وفيه أدب وحسن محاضرة، مليح الشكل، تولى القضاء بعد نجم الدين ابن الشيخ شمس الدين في أواخر سنة تسع وثمانين، ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال، وقد قارب الستين، ودفن من الغد بمقبرة جده بالسفح، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته، وعمل من الغد عزاؤه بالجامع المظفري، وباشر القضاء بعد تقي الدين سليمان بن حمزة، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح، وقد وليها شهاب الدين العابر الحنبلي النابلسي مدة شهور، ثم صرف عنها، واستقرت بيد قاضي القضاة تقي سليمان المقدسي.

الشيخ الصالح الإمام العالم البارع الناسك:

■ **أبو محمد بن أبي حمزة المغربي المالكي**، توفي بالديار المصرية في ذي القعدة، وكان قوالا بالحق، آمراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر.

الصاحب

■ **محيي الدين بن النحاس**: أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب، واشتغل وبرع، وسمع الحديث، وأقام بدمشق مدة، ودرس بها بمدارس كبار، منها الظاهرية والزنجارية، وولي القضاء بحلب، والوزارة بدمشق، ونظر الخزانة، ونظر الدواوين والأوقاف، ولم ينزل مكرما معظما، معروفا بالفضيلة، والإنصاف في المناظرة، محبا للحديث وأهله على طريقة السلف، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته، توفي ببستانه بالمزة، عشية الاثنين سلخ ذي الحجة، وقد جاوز الثمانين، ودفن يوم الثلاثاء مستهل المحرّم سنة ست وتسعين بمقبرة له بالمزة، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة.

■ **(عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت القاضي الأعز).**

قاضي القضاة: تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن بنت القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن بدر العلائي الشافعي، توفي في جمادى الأولى، ودفن بالقرافة بتربتهم رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتبغا وهو في نواحي حمص يتصيد، ومعه نائب الديار المصرية حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري، وأكابر الأمراء، ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين غرلو العادلي، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي فإنه تقي الدين سليمان بن حمزة والوزير شهاب الدين الحنفي وابنه المحتسب وخطيب البلد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي.

فلما كان يوم الأربعاء ثاني المحرم دخل السلطان كتبغا إلى دمشق، من نواحي حمص وصلى الجمعة بالمقصورة، وزار قبر هود وصلى عنده، وأخذ من الناس قصصهم بيده، وجلس بدار العدل في يوم السبت، ووقع على القصص هو ووزيره فخر الدين الخليلي.

وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيي الدين بن النحاس في مدرستي أبيه الريحانية والظاهرية، وحضر الناس عنده، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء، وجاء يوم الجمعة فصلى الجمعة بالمقصورة، ثم صعد في هذا اليوم إلى مغارة الدم لزيارتها، ودعا هنالك، وتصدق بجملة من المال، وحضر الوزير فخر الدين بن الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء، فجلس عند شباك الكاملية، وقرأ القرّاء بين يديه، ورسم بأن يكمل داخل الجامع بالفرش ففعلوا ذلك، واستمر ذلك نحواً من شهرين، ثم عاد إلى ما كان عليه.

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي شمس الدين بن الحريري بالقيمازية، عوضاً عن ابن النحاس باتفاق منهم، وحضر عنده جماعة، ثم صلى السلطان الجمعة بالمقصورة، ومعه وزيره ابن الخليلي، وهو ضعيف من مرض أصابه.

وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل ابن الملك السعيد بن الصالح إسماعيل بن العادل بطبلقانة، ولبس الشربوش، ودخل القلعة، وضُربت له الكوسات على بابه، ثم خرج السلطان العادل كتبغا بالعساكر المنصورة من دمشق بكرة الثلاثاء، ثاني عشرين المحرم، وخرج بعده الوزير، فاجتاز بدار الحديث، وزار الأثر النبوي، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي، وشافهه بتدريس الناصرية، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية، فوليها القاضي كمال الدين بن الشريشي، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ زين الدين شيئا من حطام الدنيا فقبله، وكذلك أعطى خادم الأثر وهو المعين خطاب، وخرج الأعيان والقضاة مع الوزير لتوديعه.

ووقع في هذا اليوم مطر جيد، استشفى الناس به، وغسل آثار العساكر من الأوساخ وغيرها، وعاد التقي توبة من توديع الوزير، وقد فوض إليه نظر الخزانة، وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس، ودرس الشيخ زين الدين بالناصرية الجوانية، عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الأربعاء آخر يوم من المحرم.

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخبيط بين العساكر، وخلف وتشويش، فغلق باب القلعة الذي يلي المدينة، ودخل الصاحب شهاب الدين إليها من باب الخوخة، وتهيأ النائب والأمراء، وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقوفا هنالك، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتبغا إلى القلعة، في خمسة أنفس أو ستة من مماليكه، فدخل القلعة، فجاء إليه الأمراء، وأحضر ابن جماعة، وحسام الدين الحنفي، وتجدّد تخليف الأمراء ثانية فحلفوا، وخلع عليهم وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام، وكان الخلف الذي وقع بينهم بوادي فحمة يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل، وتوثق منهم، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة، وذلك لئلا يبقى بدمشق شيء من المال يتقوى به العادل إن فاتهم ورجع إلى دمشق، ويكون قوّة له هو في الطريق على ما عزم عليه من الغدر، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين بتخاص، وبكتوت الأزرق العادلين، وأخذ الخزانة من بين يديه والعسكر، وقصدوا الديار المصرية، فلما سمع العادل بذلك خرج من الدهليز، وساق جريدة إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا، وتراجع إليه بعض مماليكه كزين الدين غلبك وغيره، ولزم شهاب الدين الحنفي القلعة لتدبير المملكة، ودرس كمال الدين ابن الشريشي بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر، وتقلبت أمور كثيرة في هذه الأيام، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها، وأطلق كثيراً من المكوس، وكتب بذلك تواقيع، وقرئت على الناس، وغلا السعر جداً

فبلغت الغرارة مائتين، واشتد الحال، وتفاقم الأمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سلطنة الملك منصور لاجين السلحدار

وذلك أنه لما استاق الخزانة وذهب بالجيوش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار، وبايعوه وملكوه عليهم، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر، ودقت بمصر البشائر، وزينت البلد، وخطب له على المنابر، وبالقدس والخليل، ولقب بالملك المنصور، وكذلك دقت له البشائر بالكرك ونابلس وصفد، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق، وقدمت الجريدة من جهة الرحبة صحبة الأمير سيف الدين كجكن، فلم يدخلوا البلد، بل نزلوا بميدان الحصى، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر، وركب إليه الأمراء طائفة بعد طائفة، وفوجا بعد فوج، فضعف أمر العادل جداً، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء: هو خشداشي وأنا وهو شيء واحد، وأنا له سامع مطيع، وأنا أجلس في أي مكان من القلعة أراد، حتى تكاتبوه وتنظروا ما يقول.

وجاءت البريدية بالمكاتبات، بأمر الاحتياط على القلعة وعلى العادل، وبقي الناس في هرج، وأقوال مختلفة، وأبواب القلعة مغلقة، وأبواب البلد سوى باب النصر إلا الخوخة، والعامة حول القلعة قد ازدحموا حتى سقطت طائفة منهم في الخندق فمات بعضهم، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين، ودقت البشائر بذلك بعد العصر، ودعا له المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق، وتلوا قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء، وفيهم غرلو العادلي بدار السعادة، فحلفوا للمنصور لاجين، ونودي بذلك في البلد، وأن يفتح الناس دكاكينهم، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب، فعمل الوالي ابن النشابي حسبة البلد، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته. وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين، وسافر الأمير سيف الدين غرلو والأمير جاغان إلى الديار المصرية، بعلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة عاشر صفر، وشق القاهرة في سادس عشرة في أبهة المملكة، وعليه الخلعة الخليفية، والأمراء بين يديه مشاة، وأنه قد استناب بمصر الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، وخطب للمنصور لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول، وحضر المقصورة القضاة وشمس الدين الأعسر وكجكن، وأسندمر، وجماعة من أمراء دمشق، توجه القاضي إمام الدين القزويني، وحسام الدين الحنفي، وجمال الدين المالكي إلى الديار المصرية مطلوبين، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان، وسيف الدين جاغان من جهة السلطان فحلفوا الأمراء ثانية، ودخلوا على العادل إلى القلعة ومعهم القاضي بدر الدين بن جماعة وكجكن فحلفوه أيمانا مؤكدة، بعدما طال بينهم الكلام بالتركي، وذكر في حَلِفِه أنه راض بما يُعيِّنه من البلدان أي بلد كان، فوقع التعيين بعد اليمين على قلعة صرخد، وجاءت المراسيم بالوزارة لتقي الدين توبة، وعزل شهاب الدين الحنفي، وبالحسبة لأمين الدين يوسف الأرمني الرومي صاحب شمس الدين الأيكي، عوضاً عن زين الدين الحنفي، أخي شهاب الدين الذي كان وزيراً ودخل الأمير سيف الدين قبجق المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت، السادس عشر من ربيع الأول، ونزل دار السعادة، عوضاً عن سيف الدين غرلو العادلي، وقد خرج الجيش بكماله لتلقيه، وحضر يوم الجمعة إلى المقصورة، فصلى بها، وقرأ بعد الجمعة كتاب السلطان بإبطال الضمانات من الأوقاف والأملاك بغير رضى أصحابها، قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء، ونودي في البلد من له مظلمة فليأت يوم الثلاثاء إلى دار العدل، وخلع على الأمراء والمقدمين وأرباب المناصب من القضاة والكتبة، وغيرهم وخلع على ابن جماعة خلعتين واحدة للقضاء، والأخرى للخطابة.

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني قضاء القضاة بالشام، عوضا عن بدر الدين بن جماعة، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة، وأُضيف إليه تدريس القيمرية التي كانت بيد إمام الدين، وجاء كتاب السلطان بذلك، وفيه احترام وإكرام له، فدرس بالقيمرية يوم الخميس ثاني رجب، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر، يوم الأربعاء الثامن من رجب، فجلس بالعادلية، وحكم بين الناس، وامتدحه الشعراء بقصائد، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها:

تبدلت الأيامُ من بعدِ عسرها يُسرا فاضحتْ ثغورُ الشامِ تغترُّ بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان، ومعه القاضي جمال الدين الزواوي، قاضي قضاة المالكية، وعليه خلعة أيضاً، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل، ودرس بالعادلية بكرة الأربعاء منتصف رجب، وأشهد عليه بعد الدرس بتوليه أخيه جلال الدين نيابة الحكم، وجلس في الإيوان الصغير وحكم وعليه الخلعة، وجاء الناس يهنئونه، وقرئ تقليده يوم الجمعة بالشباك الكمالي بعد الصلاة، بحضرة نائب السلطنة وبقية القضاة، قرأه شرف الدين الفزاري.

وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الأعسر تولى بالديار المصرية شدّ الدواوين والوزارة، وباشر المنصبين جميعاً، وباشر نظر الدواوين بدمشق فخر الدين بن الشيرجي، عوضاً عن نجم الدين بن صصرى، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفاروقي مع الناصرية، بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشي بالقاهرة ودرّس فيها في شهر رمضان يوم اثنين بعد العصر.

وفي الرابع عشر من ذي القعدة مُسِكَ الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب الديار المصرية للاجين هو وجماعة من الأمراء معه، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي، وهؤلاء الأمراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبايعوه على العادل كتبغا، وقدم الشيخ كمال الدين الشريشي من الديار المصرية ومعه توقيع بتدريس الناصرية، عوضاً عن الشامية البرانية، ودرس فيها يوم السبت يوم عرفة وأمسك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وزير مصر وشادُّ الدواوين، يوم السبت الثالث والعشرين من ذي الحجة، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام أيضاً، ونودي بمصر في ذي الحجة أن لا يركب أحد من أهل الذمة فرسا ولا بغلا، ومن وجد منهم راكبا ذلك أخذ منه.

وفيها ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك

المظفر المتقدم ذكره في التي قبلها.

وممن توفي فيها من الأعيان

قاضي قضاة الحنابلة بمصر: عز الدين

■ **عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي الحنبلي**، سمع الحديث، وبرع في المذهب، وحكم بمصر، وكان مشكورا في سيرته وحكمه، توفي في صفر، ودفن بالمقطم، وتولى بعده شرف الدين عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحراني بديار مصر.

الشيخ الإمام الحافظ القدوة: عفيف الدين أبو محمد

■ **عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصري الحنبلي**، توفي بالمدينة النبوية، في أواخر صفر، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة، وحج فيها أربعين حجة متوالية، وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله.

الشيخ

■ **شيث بن الشيخ علي الحريري**: توفي بقرية بسر من حوران، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر، وتوجه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك، لتعزية أخيهم حسن الأكبر فيه.

الشيخ الصالح المقرئ: جمال الدين

■ **عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصري**، ثم الدمشقي، نقيب السبع الكبير، والغزالية، كان قد قرأ على السخاوي، وسمع الحديث، توفي في أواخر رجب، وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان.

واقف السامرية: الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس

■ **أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري**، واقف السامرية التي إلى جانب الكروسية بدمشق، وكان داره التي يسكن بها، ودفن بها، ووقفها دار حديث وقانقاه، وكان قد انتقل إلى دمشق، وأقام بها بهذه الدار مدة، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام، بناها من حجارة منحوتة كلها.

وكان السامري كثير الأموال، حسن الأخلاق، معظما عند الدولة، جميل المعاشرة، له أشعار رائقة، ومبتكرات فائقة، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان.

وقد كان ببغداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمي، وامتدح المستعصم، وخلع عليه خلعة سوداء سنية، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فحظي عنده أيضاً، فسعى فيه أهل الدولة فصنف فيهم أرجوزة، فتح عليهم بسببها بابا، فصادرهم الملك بعشرين ألف دينار، فعظموه جدا، وتوسلوا به إلى أغراضهم، وله قصيدة في مدح النبي ﷺ، وقد كتب عنه الحافظ الدمياطي شيئاً من شعره.

واقف النفيسية التي بالرصيف: الرئيس نفيس الدين أبو الفداء

■ **إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة بن علي بن صدقة الحراني**، كان أحد عدول القسمة بدمشق، وولي نظر الأيتام في وقت، وكان ذا ثروة من المال، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمع الحديث، ووقف داره دار حديث، توفي يوم السبت بعد الظهر، الرابع من ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون، بكرة يوم الأحد بعد ما صلي عليه بالأموي.

■ **(الشاروت الدمشقي)**.

الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاروت الدمشقي: يلقب بنجم الدين، ترجمه الحريري فأطنب، وذكر له كرامات وأشياء من علم الحروف وغيرها، والله أعلم بحاله.

وفيها قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم، وأسلم معه أكثر التتر، فإن التتر شوّشوا خاطر قازان عليه، واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله، وقتل جميع من ينسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان، وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه، وأذكاره وتطوعاته، وقصده الحسن رحمه الله وعفا عنه، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، واتخذوا السبح والمياكل، وحضروا الجمع والجماعات، وقرؤوا القرآن، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي وسلطان البلاد الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، ونائبة بمصر منكوتمر، وبدمشق سيف الدين قبجق، وقاضي الشافعية إمام الدين القزويني وقاضي الحنفية حسام الدين الرازي، ثم ولي ابنه جلال الدين مكانه بدمشق في عاشر صفر، وركب بالخلعة والطرحة وهنأه الناس، وكُبت في الإسجالات قاضي القضاة. وقاضي المالكية جمال الدين الزواوي، وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان بن حمزة بن الشيخ أبي عمر وخطيب البلد بدر الدين بن جماعة وطلب قاضي القضاة الحنفية بمصر عن عوضا عن شمس الدين السروجي، واستقر ولده جلال بدمشق قاضي قضاة الحنفية، ودرس بمدرستي أبيه الخاتونية والمقدمية، وترك مدرسة القصاعين والشبلية.

وجاء الخبر على يدي البريد بعافية السلطان، من الوقعة التي كان وقعها فدقت البشائر، وزينت البلد، فإنه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فكان كما قال الشاعر:

حويتَ بطشاً وإحساناً ومعرفةً ... وليس يَحملُ هذا كلهُ الفرسُ

وجاء على يديه تقليد وخلعة لنائب السلطنة، فقرأ التقليد وباس العتبة.

وفي ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان، وحضر عنده إمام الدين الشافعي، وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه، بإذنه له في ذلك.

وفي ربيع الأول غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياما، ثم استرضي وعاد، وشرطوا عليه أن لا يستنيب ولده المحب.

وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة المعظمية، وخطب فيها مدرسها القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي، واشتهر في هذا الحين القبض على بدر الدين بيسري، واحتيط على أمواله بديار مصر.

وأرسل السلطان بجريدة صحبة علم الدين الدواداري إلى تل حمدون، ففتحه بحمد الله ومنه، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق في الثاني عشر من رمضان. وضُربت به الخليلية وأذن بها الظهر، وكان أخذها يوم الأربعاء سابع رمضان، ثم فتحت مرعش بعدها فدقت البشائر، ثم انتقل الجيش إلى قلعة حمص، فأصيب جماعة من الجيش، منهم الأمير علم الدين سنجر طقصبا، أصابه زيارٌ في فخذه، وأصاب الأمير علم الدين الدواداري حجر

في رجله.

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعادا في الجهاد، وحرض فيه وبالغ في أجور المجاهدين، وكان وقتاً مشهوداً وميعاداً حافلا جليلا.

وفي هذا الشهر عاد الملك المسعود نجم الدين بن خضر بن الظاهر من بلاد الأشكري إلى ديار مصر، بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور، وتلقاه السلطان بالموكب، وأكرمه وعظمه، وحج الأمير خضر بن الظاهر في هذه السنة مع المصريين، وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

وفي شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التي أنشأها نائب السلطنة بمصر وهي المنكوتمرية، داخل باب القنطرة.

وفيها دقت البشائر لأجل أخذ قلعتي حيمص ونُجيمة من بلاد سيس..

وفيها وصلت الجريدة من بلاد مصر قاصدين بلاد سيس مددا لأصحابهم، وهم نحو من ثلاثة آلاف مقاتل و لله الحمد.

وفي منتصف ذي الحجة أمسك الأمير عز الدين أيبك الحموي الذي كان نائب الشام، هو وجماعة من أهله وأصحابه من الأمراء.

وفيها قلت المياه بدمشق جداً حتى بقي ثورا في بعض الأماكن لا يصل إلى ركبة الإنسان، وأما بردى فإنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر حسرين، وغلا سعر الثلج بالبلد. وأما نيل مصر فإنه كان في غاية الزيادة والكثرة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (حسن بن علي الحريري).

الشيخ حسن ابن الشيخ علي الحريري: توفي في ربيع الآخر بقرية بسر، وكان من كبار الطائفة، وللناس إليه ميل لحسن أخلاقه، وجودة معاشرته، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة.

الصدر الكبير شهاب الدين: أبو العباس

■ **أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن أبي الزهر التوخي، المعروف بابن السلعوس،** أخو الوزير شمس الدين، قرأ الحديث، وسمع الكثير، وكان من خيار عباد الله، كثير الصدقة والبر، توفي بداره في جمادى الأولى، وصلي عليه بالجامع، ودفن بباب الصغير، وعمل عزاؤه بمسجد ابن هشام، وقد ولي في وقت نظر الجامع، وشكرت سيرته، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى، وشهد جنازته خلق كثير من الناس.

الشيخ شمس الدين الأيكي:

■ **محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي،** المعروف بالأيكي، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات، المفسِّرين المعضلات، لا سيما في علم الأصلين والمنطق، وعلم الأوائل، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر، وأقام مدرس الغزالية قبل ذلك.

توفي بقرية المزة يوم جمعة، ودفن يوم السبت، بعدما صلّي عليه بجامع المزّة ومشى الناس في جنازته، منهم قاضي القضاة إمام الدين القزويني، وذلك في الرابع من رمضان، ودفن بمقابر الصوفية، إلى جانب الشيخ شملة، وعمل عزاؤه بقاعة السميساطية، وحضر جنازته خلق كثير، وكان معظما في نفوس كثير من العلماء وغيرهم.

الصدر

■ **ابن عقبة: إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي الحنفي،** درس وأعاد، وولي في وقت قضاء حلب، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر، فجاء بتوقيع فيه قضاء قضاة حلب، فلما اجتاز بدمشق توفي بها، في رمضان من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة، «يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص، وطول الأمل».

الشهاب العابر

■ **أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الحنبلي شهاب الدين عابر الرؤيا،** سمع الكثير، وروى الحديث. وكان عجباً في تفسير المنامات، وله فيه اليد الطولى، وله تصنيف فيه ليس كالذي يؤثر عنه من الغرائب والعجائب، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، توفي في ذي القعدة، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة

[فيها كان الحكام هم المذكورين في التي قبلها]

استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد المنصور لاجين، ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي حسام الدين الرازي، والمالكي والحنبلي كما تقدم، ونائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة.

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سيس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك، ونصب مشانق لمن تأخر بعذر أو بغيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجق وصحبته الجيوش، وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة، وتجمُّل هائل فدعت له العامة وكانوا يحبونه، واستمر الجيش سائرين قاصدين بلاد سيس، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الأمراء أن السلطان متقلِّب الخاطر بسبب سعي منكوتمر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبته له، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم، فساقوا من حمص فيمن أطاعهم، وهم قبجق ونزل ويكتمر السلحدار البكّي، واستمروا ذاهبين، فرجع كثير من الجيش إلى دمشق، وتخبطت الأمور، وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته فيهم، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريدية، وأخبروا بمقتل السلطان الملك المنصور لاجين، ونائبه سيف الدين منكوتمر، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادي عشرة، على يد الأمير سيف الدين كرجي الأشرفي، ومن وافقه من الأمراء، وذلك بحضور القاضي حسام

الدين الحنفي، وهو جالس في خدمته يتحدثان، وقبل: كانا يلعبان بالشطرنج، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهما، فبادروا إلى السلطان بسرعة، جهرة ليلة الجمعة فقتلوه، وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة، وألقي على مزبلة، واتفق الأمراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأرسلوا وراءه، وكان بالكرك ونادوا له بالقاهرة، وخطب له على المنابر قبل قدومه، وجاءت الكتب إلى نائب الشام قبجق، فوجدوه قد قفز خوفا من غائلة لاجين، فسارت إليه البريدية وراءه فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين، من أعمال ماردين، وتفارط الحال ولا قوة إلا بالله.

وكان الذي شمر العزم وراءهم وساق ليردهم الأمير سيف الدين بلبان، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش، والأمير سيف الدين جاغان، واحتاطوا على كا من كان له اختصاص بتلك الدولة، فكان منهم جمال الدين يوسف الرومي محتسب البلد، وناظر المارستان، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه، واحتيط أيضا على سيف الدين جاغان، وحسام الدين لاجين والي البر، وأدخلا القلعة، وقتل بمصر الأميران سيف الدين طغجي، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام، وكرجي الذي تولى قتل لاجين فقتلا وألقيا على المزابل، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طغجي، وكان جميل الصورة جداً، ثم بعد الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور، فدفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه ومملوكه منكوتمر، ودفن الباقون في مضاجعهم هنالك.

وجاءت البشارة بدخول الملك السلطان الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الأولى، وكان يوماً مشهوداً، وضربت البشائر، ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة، وبويع بحضرة علم الدين أرجواش، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها، بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة، وعليه خلعة الخليفة، والجيش معه مشاة، بين يديه، وكان يوماً مشهوداً وضربت البشائر أيضاً، وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة، وفيها الرفق بالرعايا، والإحسان إليهم، فدعوا له، وقدم الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائباً على دمشق، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر، ثاني عشرين جمادى الأولى، فنزل بدار السعادة على العادة، وفرح الناس بقدومه، وأشعلوا له الشموع، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة، وبعد أيام أفرج عن جاغان ولاجين والي البر من القلعة، وعادا إلى ما كانا عليه، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أتابكا للعساكر المصرية، والأمير سيف الدين سلار نائبا بمصر، وأخرج الأعسر في رمضان من الحبس، وولي الوزارة بمصر، وأخرج قراسنقر المنصوري من الحبس، وأعطي نيابة الصبيبة، ثم لما مات صاحب حماة الملك المظفر نقل قراسنقر إليها.

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية، قام عليه جماعة من الفقهاء، وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي، فلم يحضر، فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها عليه أهل حماة المسماة بالحموية، فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان، وأرسل يطلب الذين قاموا عليه، فاختفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة، فسكت الباقون.

فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر في قوله تعالى ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين القزويني صبيحة يوم السبت، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء، وبحثوا في الحموية وناقشوه في أماكن منها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال وكان القاضي إمام الدين معتقده حسنٌ، ومقصده صالحٌ.

وفيها وقف علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولي مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطار، وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قراسنقر.

وفي يوم السبت حادي عشر شوال فتح مشهد عثمان، الذي جدده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخُدّام من شماليه، وجعل له إماماً راتباً، وحاكى به مشهد علي بن الحسين زين العابدين.

وفي العشر الأولى من ذي الحجة عاد القاضي حسام الدين الرازي إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام.

وفيها في ذي القعدة كثرت الأراجيف بقصد التتر بلاد الشام وبالله المستعان.

وممن توفي فيها من الأعيان

■ (أحمد بن محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصيري).

الشيخ نظام الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصيري الحنفي: مدرس النورية، توفي ثامن المحرم، ودفن في تاسعة يوم الجمعة في مقابر الصوفية، كان مفتياً فاضلا، ناب في الحكم في وقت، ودرس بالنورية بعد أبيه، ثم درس بعده بها الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان في يوم الأربعاء رابع عشر المحرم.

■ ابن النقيب المفسر الشيخ العالم الزاهد جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي، ثم المقدسي الحنفي: ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقدس، واشتغل بالقاهرة، وأقام مدة بالجامع الأزهر، ودرس في بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القدس، فاستوطنه إلى أن مات في المحرم منها، وكان شيخاً فاضلا في التفسير، وله فيه مصنف حافل كبير، جمع فيه خمسين مصنفاً من التفاسير، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به.

الشيخ

■ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقدس: كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه: هو على طريقة ابن عربي، وابن سبعين، توفي في المحرم من هذه السنة.

التقي

■ توبة الوزير: الصاحب الكبير الصدر الوزير تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الربعي التكريتي، ولد سنة عشرين وستمائة، يوم عرفة بعرفة، وتنقل في الخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة، وصلي عليه غدوة بالجامع وسوق الخيل، ودفن بتربته تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح، وحضر جنازته القضاة والأعيان، ورحمه وباشر بعده نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة.

الأمير الكبير شمس الدين

■ بيسري: كان من أكابر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك، من زمن

قلاوون وهلم جرا، توفي في السجن، بقلعة مصر، وعمل له عزاء بالجامع الأموي، وحضره نائب السلطنة الأفرم، والقضاة والأعيان.

السلطان الملك

■ المظفر تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب: صاحب حماة، وابن ملوكها كابرا عن كابر، توفي يوم الخميس، الحادي والعشرين من ذي القعدة، ودفن في ليلة الجمعة.

الملك الأوحد

■ نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم ناظر القدس الشريف: توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة، ودفن برباطه عند باب حطة، عن سبعين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة، وإحساناً إلى الضعفاء رحمه الله.

القاضي شهاب الدين يوسف بن الصاحب محيي الدين

■ ابن النحاس: أحد رؤساء الحنفية، ومدرس الريحانية والظاهرية، وقد ولي نظر الخزانة ونظر الجامع في وقت وكان صدراً كبيراً كافياً توفي ببستانه بالمزة، ثالث عشر ذي الحجة، ودرس بعده بالريحانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين.

الصدر الكبير الرئيس الصاحب أمين الدين أبو الغنائم:

■ سالم بن الحسن بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صصري التغلبي، كان أحسن حالا من أخيه القاضي نجم الدين، وقد سمع الحديث وأسمعه، كان صدراً معظماً، ولي نظر الدواوين، ونظر الخزانة، ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة، ومات.

توفي يوم الجمعة، ثامن وعشرين ذي الحجة، وصلي عليه بعد الجمعة بالجامع، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون، وعمل عزاؤه بالصاحبية.

■ ياقوت بن عبد الله: أبو الدر المستعصمي الكاتب، لقبه جمال الدين، وأصله رومي، كان فاضلا، مليح الخط مشهورا بذلك، كتب ختما حسناً، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة، وله شعر رائق، فمنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه:

تُجَدِّدُ الشمسُ شَوْقي كُلَّما طَلَعَتْ ... إلى مُحَيَّاكَ يا سَمْعي ويا بَصَري

واسْهَرُ اللَّيلَ في أُنسٍ بِلا وَنَسٍ ... إذ طِيبُ ذِكرَاكَ في ظَلْماتِهِ سَمَري

وكلُّ يومٍ مضى لي لا أراك بِهِ ... فَلَستُ مُحْتَسِباً ماضِيهِ مِنْ عُمُري

لَيْلِي نَهَاري إذَا ما دُرْتُ في خَلَدي ... لأنَّ ذِكْرَكَ نُورُ القَلْبِ والبَصَرِ

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة

وفيها كانت وقعة قازان، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يتبعها من الممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، ونائب مصر سلار، ونائب الشام آقوس الأفرم، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار إلى بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة، وبلغ كراء الجمل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم.

فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام.

فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق، في مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا خرج الناس لتلقيه، وكان قد أقام بغزة قريباً من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتر إلى الشام، تهيأ لذلك، وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة، وزينت له البلد، وكثرت له الأدعية، وكان وقتا شديداً، وحالا صعباً، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش.

وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من المطوِّعة، وأخذ الناس في الدعاء، والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا، وابتهلوا إلى الله بالأدعية.

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية، التقى التتر هناك يوم الأربعاء، السابع والعشرين من ربيع الأول، فالتقوا معهم فكسروا المسلمين، وولى السلطان هارباً فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم، ومن العوام خلق كثير، وفقد في المعركة قاضي قضاة الحنفية، حسام الرازي وقد صبروا وأبلوا بلاء حسناً، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً، فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها إلى الديار المصرية، واجتاز كثير منهم على دمشق، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر.

ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع، وأبواب دمشق مغلقة، والقلعة محصنة، والغلاء شديد، والحال ضيق، وفرج الله قريب، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر، كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية جمال الدين الزواوي، وتاج الدين بن الشيرازي، وعلم الدين الصوابي والي البر، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغراً ليس فيه حاكم ولا زاجر ولا وادعٌ سوى نائب القلعة علم الدين أوجواش وهو مشغول عن البلد بالقلعة.

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير باب السجن، وخرجوا منه على حمية، وتفرقوا في البلد، وكانوا قريباً من مائتي رجل، فنهبوا ما قدروا عليه، وجاؤوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب الجواني وأخذوا من الباشورة ما شاؤوا ثم كسروا أقفال الباب البراني، وخرجوا منه إلى بر البلد، فتفرقوا حيث شاؤوا، لا يقدر أحد على ردهم، ولا صدُّهم وعاثت الحرافشة في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين، وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان.

هذا وسلطان التتر قد قصد دمشق بعد الوقعة، فاجتمع أعيان البلد، والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد علي، واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجهوا يوم الاثنين، ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند النبك، وكلمه الشيخ تقي الدين بن تيمية كلاماً قوياً شديداً، فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد.

ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان فنزلوا بالباذرانية، وغلقت أبواب

البلد سوى باب توما، وخطب الخطيب يوم الجمعة بالجامع ولم يذكر سلطانا في خطبته وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن، وحضر الفرمان بالأمان، وطيف به في البلد، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة، ونثر شيء من الذهب والفضة، وفي اليوم الثاني من المناداة بالأمان طلبت الخيول والسلاح والأموال المخبأة عند الناس من جهة الدولة، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية فإنا لله وإن إليه راجعون.

وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصوري، فنزل بالميدان، واقترب جيش التتر، وكثر العيث في ظاهر البلد، وقتل جماعة، وغلت الأسعار بالبلد جداً، وضاق الحال جداً وأرسل قبجق إلى نائب القلعة أن يسلمها إلى التتر، فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع، فجمع له قبجق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبهم إلى ذلك، وصمم على ترك تسليمها إليهم وفيها عين تطرف، فإن الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك، فاشتد عزمه على ذلك وقال له: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام، فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل، الذي جعله الله حرزاً لأهل الشام، التي لا تزال دار إيمان وسنة، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم.

وفي يوم دخول قبجق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلار إلى مصر كما جاءت البطائق بذلك إلى القلعة، ودقت بها البشائر، فقوي جأش الناس بعض قوة، ولكن الأمر كما يقال:

كَيْفَ السَّبِيلُ إلى سُعَادَ ودُونَهَا ... قُلَلُ الجِبَالِ ودُونَهُنَّ حُتُوفُ

الرِّجْلُ حَافِيَةٌ ومَا لِي مَرْكَبٌ ... والكَفُّ صِفْرٌ والطَّرِيقُ مَخُوفُ

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق، بحضور المغول بالمقصورة، ودعي له على السدة بعد الصلاة، وقرئ عليها مرسوم بنيابة قبجق على الشام، وذهب إليه الأعيان فهنؤوه بذلك، فأظهر الكرامة، وأنه في تعب عظيم مع التتر، ثم شرع في طلب الخيول التي عند الناس والأموال لأجل النفقة على التتار ونزل شيخ المشايخ نظام الدين محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة، وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً من الغلات وقلعوا الأبواب والشبابيك وخربوا الأماكن الكثيرة كالرباط الناصري وغيره من الأماكن الحسنة والمارستان بالصالحية، ومسجد الأسدية، ومسجد خاتون، ودار الحديث الأشرفية بها، واحترق جامع التوبة بالعُقيبة، وكان هذا من جهة الكرج، والأرمن من النصارى الذين هم مع التتر قبّحهم الله، وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، ولجأ أكثر الناس إلى رباط الحنابلة، فاحتاطت به التتر، فحماه منهم شيخ الشيوخ المذكور، وأعطى في الساكن مال له صورة، ثم قحموا عليه فسبوا منه خلقاً كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الأولى، قتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من النساء كثيراً، ونال قاضي القضاة تقي الدين منهم أذى كثير، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربعمائة، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصري والضيائية، وخزانة ابن البزوري، فكانت تباع وهي مكتوب عليها بالوقفية، وفعلوا بالمزة مثل ما فعلوا بالصالحية، وكذلك بداريا وغيرها ونحصن الناس منهم في الجامع بداريا ففتحوه قسراً، وقتلوا منهم خلقاً، وسبوا نساءهم وأولادهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية في جماعة من أصحابه يوم الخميس، العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر، وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه بقازان، حجبه عنه الوزير سعد الدين، والرشيد مشير الدولة المسلماني ابن يهودي، والتزما له بقضاء الشغل، وذكرا له أن التتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن، ولا بد لهم من شيء.

واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق، فانزعج الناس لذلك، وخافوا خوفاً شديداً، وأرادوا الخروج منها، والهرب على وجوههم، وأين الفرار ولات حين مناص، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فتٌ أموال كثيرة على البلد، موزعة على أهل الأسواق، كل سوق بحسبه من المال، فلا حول ولا قوة قوة إلا بالله.

وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع، ليرموا بها القلعة من صحن الجامع، وغلقت أبوابه، ونزل التتر في مشاهده يحرسون أخشاب المجانيق، وينهبون ما حوله من الأسواق، وأحرق أرجواش ما حول القلعة من الأبنية كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك، إلى حد العادلية الكبيرة، وأحرق دار السعادة، لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها، ولزم الناس منازلهم، لئلا يسّخروا في طم الخندق، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل، والجامع لا يصلي فيه أحد إلا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد، ومن خرج من منزله في ضرورته يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمالة في أكابر أهل البلد ليلا ونهاراً، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف، كالجامع وغيره، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع، وتوفير أوقافه، وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح إلى الحجاز، وقرئ ذلك المرسوم يوم الجمعة بعد الصلاة بالجامع، في تاسع عشر جمادى الأولى، وفي هذا اليوم توجه السلطان قازان إلى بلاده وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل، ومن عزمنا العود إليها في زمن الخريف، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها و لله الحمد.

وخرج الأمير سيف الدين قبجق لتوديع قطلو شاه نائب قازان، وسار وراءه، فضربت البشائر بالقلعة فرحاً برحيلهم، ولم تفتح القلعة، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبجق لتوديع قطلوشاه القلعية إلى الجامع، فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالمين، واستصحبوا معهم جماعة ممن كان يلوذ بالتتر قهراً إلى القلعة، منهم الشريف القمي، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا قلوبكم وافتحوا دكاكينكم، وتهيؤوا غداً لتلقي سلطان الشام سيف الدين قبجق، فخرج الناس إلى أماكنهم، فأشرفوا عليها، فرأوا ما بها من الفساد والدمار، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعدما وزنوا شيئاً كثيراً.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا، أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، سوى ما تحق من التراسيم والبراطيل، وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء، وأن

شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم، والأصيل بن النصير الطوسي مئتا ألف، والصفي السنجاري ثمانون ألفاً، وعاد الأمير سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر، خامس عشرين جمادى الأولى، ومعه الأبيكي وجماعة، وبين يديه السيوف مسللة، وعلى رأسه عصابة، فنزل بالقصر، ونودي بالبلد: أنّ نائبكم قبجق قد جاء، فافتحوا دكاكينكم، واعملوا معايشكم، ولا يغرر أحد بنفسه، هذا والأسعار في غاية الغلاء والقلة، قد بلغت الغرارة إلى أربعمائة، واللحم الرطل بنحو العشرة، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين، والجبن الأوقية بدرهم، والبيض كل خمسة بدرهم، ثم فرج الله تعالى عنهم في أواخر الشهر.

ولما كان يوم في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم، وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد، وكثرت الأراجيف على بابه، وعظم شأنه، ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة، وركب قبجق بالعصائب في البلد والشاويشية بين يديه، وجهز نحواً من ألف فارس نحو خربة اللصوص، ومَشَى مَشْي الملوك في الولايات، وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة، وصار كما قال الشاعر:

يَا لَكِ مِنْ قُنْبُرَةٍ بِمَعْمَرِ
خَلا لَكِ الجَوُّ فَبِيضِي واصفِرِي
ونَقِّرِي مَا شِئْتِ أنْ تُنَقِّرِي

ثم إنه ضمن الخمارات ومواضع الزنى من الحانات وغيرها، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضاً، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم، وهي التي دمرته وحقت آثاره، وأخذ أموالا أخر من أوقاف المدارس وغيرها، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فسادا، ونهب البلاد وسبى وخرب، ومعه طائفة كثيرة من التتر، وقد خربوا قرى كثيرة، وقتلوا من أهلها، وسبوا خلقاً من أطفالها، وجبى لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر، ورسم قبجق لخطيب البلد وجماعة معه من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكلموا مع نائبها في المصالحة، فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشرين جمادى الآخرة، فكلموه وبالغوا معه، فلم يجب إلى ذلك، وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض الله وجهه.

وفي ثاني عشرين رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فحلفهم على المناصحة للدولة المحمودية - يعني قازان - فحلفوا له.

وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي، فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق، ثم عادوا من عنده فشلحوا عند باب شرقي، وأخذت ثيابهم وعمائمهم ورجعوا في شر حالة، ثم بعث في طلبهم، فاختفى أكثرهم وتغيبوا عنه.

ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر، وانشمروا عن دمشق، وقد أراح الله منهم، وساروا من على عقبة دُمَّر فعاثوا في تلك النواحي فسادا، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد، وقد أزاح الله عز وجل شرهم عن العباد والبلاد، ونادى قبجق في الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من التتر أحد.

وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسي والتراكيش فيها النشاب، وأمنت البلاد ونواحيها، وخرج الناس للفرجة في غياض السفرجل على عادتهم، فعاثت عليهم طائفة من التتر، فلما رأوهم إلى البلد هاربين مسرعين، ونهب بعض الناس بعضاً، ومنهم من ألقى نفسه في النهر، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار، وتقلق قبجق من البلد، ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين بن القلانسي، ليلتقوا الجيش المصري، وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في تاسع رجب، وجاءت البريدية بذلك و لله الحمد والمنّة، وبقي البلد ليس به أحد، ونادى أرجواش في البلد: أن احفظوا الأسوار،وأخرجوا ما كان عندكم من الأسلحة، ولا تهملوا الأسوار والأبواب، ولا يبيتن أحد إلا على السور، ومن بات في داره شنق، فاجتمع الناس على الأسوار لحفظ البلاد، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة فوق الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط.

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر الناصر محمد بن قلاوون، ففرح الناس بذلك، وكان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء.

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور، وشقوا الظروف، وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك.

ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر، يوم الأحد تاسع عشر رجب، ففرح الناس بذلك وانفرجوا، لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر.

وقدم الجيش الشامي صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم إلى دمشق يوم السبت عاشر شعبان، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراسنقر المنصوري، وسيف الدين قطليك في تجمل.

وفي هذا اليوم فتح باب الفراديس، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالأمينية، عوضاً عن أخيه قاضي القضاة إمام الدين توفي بمصر كما سيأتي بيانه.

وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر المصرية صحبة نائب مصر سيف الدين سلار، وفي خدمته الملك العادل كتبغا، وسيف الدين الطباخي في تجمل باهر، ونزلوا بالمرج، وكان السلطان قد خرج عازماً على المجيء فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر.

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين، ولبس الخلعة ولبس معه في هذا اليوم الدين العجمي خلعة الحسبة.

وفي يوم سابع عشرة لبس خلعة نظر الدواوين تاج الشيرازي، عوضاً عن فخر الدين بن الشيرجي، ولبس أقبجا خلعة شدّ الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدوادار النجيبي ولاية البر، بعدما جعل من أمراء الطبلخاناه، ودرس الشيخ كمال

الدين بن الزملكاني بأم الصالح، عوضاً عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان.

وفي هذا اليوم ولي من قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري، عوضاً عن حسام الدين الرازي، فقد يوم المعركة وجاءه بعد ذلك تدريس الخاتونية عوضاً عن حسام الدين الرازي في ثاني رمضان، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان.

وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعند القضاة والأمراء يوم السبت.

وفي يوم السبت الآخر خلع على عز الدين بن القلانسي خلعة سنية، وجعل ولده عماد الدين عبد العزيز شاهداً في الخزانة.

وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر، وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها.

وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس صدر الدين علي بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفي بالمدرسة المقدمية.

وفي شوال منها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذي المسلمين، وشنق منهم طائفة، وسمر آخرون، وكحل بعضهم، وقطعت ألسن، وجرت أمور كثيرة.

وفي منتصف شوال درس بالدولعية قاضي القضاة جمال الدين الزرعي نائب الحكم، عوضاً عن جمال الدين بن الباجربقي.

وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المطوّعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرا منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم، وبين لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وأموالهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله تعالى ورسوله.

وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة، وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر نودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الأماجات في أماكن كثيرة من البلد، وعلقت الأسلحة بالأسواق، ورسم قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بعمل الأماجات في المدارس، وأن يتعلم الفقهاء الرمي، ويستعدوا لقتال العدو إن حضر، وبالله المستعان.

وفي الحادي والعشرين من ذي القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه، وجعل على كل سوق مقدما وحوله أهل سوقه.

وفي الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع نقيبهم نظام الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوما مشهودا.

ومما كان من الحوادث في هذه السنة أنه جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده ظهر يوم عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجماعة، ولم تطل مدته إلا شهورا، ثم عاد الحموي إلى بلده، وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن ولله الحمد.

وممن توفي فيها من الأعيان

■ (الحسن بن أحمد بن الحسن بن أبو شروان الرازي).

القاضي حسام الدين أبو الفضائل الحسن ابن القاضي تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازي الحنفي ولي قضاء ملطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فوليها مدة، ثم انتقل إلى مصر فوليها مدة، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلمية خرج معهم، ففقد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين.

وكان فاضلا بارعا رئيسا، له نظم حسن، وموله بأقسرا من بلاد الروم.

في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، فقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل عنده يومئذ عدة من سادات الأمراء، ثم ولي بعده القضاء شمس الدين الحريري.

■ (عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد القزويني).

القاضي الإمام العالم إمام الدين أبو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقررا في تداريس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وتسعين، وناب عنه أخوه.

وكان جميل الأخلاق، كثير الإحسان رئيسا، قليل الأذى، ولما أزف قدوم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يقم بها سوى أسبوع، وتوفي ودفن بالقرب من قبة الشافعي، عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافا إلى ما بيده من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمينية.

المسند المعمر الرحلة شرف الدين أبو الفضل

■ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث وروى، توفي خامس عشر جمادى الأولى، عن خمس وثمانين سنة.

الخطيب الإمام العالم موفق الدين أبو المعالي

■ محمد بن محمد بن المفضل البهراني، القضاعي الحموي، خطيب حماة، ثم خطب بدمشق عوضا عن الفاروثي كما ذكرنا، ودرس بالغزالية، ثم عزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها.

الصدر شمس الدين

■ محمد بن سلمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة، ودرس بالعصرونية، توفي وقد جاوز الثمانين، كان من الكتاب المشاهير المشكورين، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم.

الشيخ جمال الدين أبو محمد

■ عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجربقي الشافعي، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفتي، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها، وكان قد أقام

بها مدة كذلك. ودرس بالفتحية والدولعية، وناب في الخطابة، ودرس بالغزاليه، نيابة عن الشمس الأيكي، وكان قليل الكلام، مجموعا عن الناس، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه، ويعكفون على ما كان يعكف عليه، وقد حدث جمال الدين المذكور بجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير، وله نظم ونثر حسن، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية:

استهلت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بها هم المذكورون في التي قبلها، غير الشافعي والحنفي.

ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر من جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق، فهرب أكثر الناس من البلد، وجرت خطبة قوية، وشق ذلك على الناس مشقة عظيمة جداً.

وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك، وازدادوا ضعفا على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة، فبلغت المحارة إلى مصر خمسمائة، وبيع الجمل بألف والحمار بخمسمائة، وبيعت الأمتعة والثياب والغلات بأرخص الأثمان.

وجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع، وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما يصرف في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله تعالى كان خيرا، وأوجب جهاد التتر حتماً في هذه الكرة، وتابع المجالس في ذلك، ونودي في البلدان لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة، فتوقف الناس عن المسير، وسكن جأشهم، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر المنصورة، ودقت البشائر لخروجه، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن صصرى، وبيت ابن فضل الله، وابن منجا، وابن سويد، وابن الزملكاني، وابن جماعة.

وفي أول ربيع الآخر قوي الإرجاف بأمر التتر، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة، ونودي في البلدان أن تخرج العامة مع العسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر، فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم، وقنت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها، واتبعه أئمة المساجد، وأشاع المرجفون أن التتر قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تقهقر إلى حماة، ونودي في البلد بتطييب قلوب الناس، وإقبالهم على معايشهم، وأن السلطان والعساكر واصلة، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به، وبقيت بواقي على الناس الذين قد اختفوا فعفي عما بقي، ولم يرد ما سلف، لا جرم أن عواقب هذه الأفعال خسر ونكر أن أصحابها لا يفلحون.

ثم جاءت الأخبار بأن سلطان مصر رجع عائدا إلى مصر، بعد أن خرج منها قاصدا الشام، فكثر الخوف، واشتد الحال، وكثرت الأمطار جدا، وصار بالطرقات من الأوحال والسيول ما يحول بين المرء وما يريده، من الانتشار في الأرض والذهاب فيها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالا، يتحملون بأهليهم وأولادهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقة على الدواب والرقاب، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف، مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستهل جمادى الأولى والناس على خطة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقتراب العدو.

وشدّة الأمر والحال وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر، وكان يوم السبت إلى نائب الشام وعساكره بالمرج فثبتهم، وقوى جأشهم وطيب قلوبهم، ووعدهم النصر والظفر على الأعداء، وتلا قوله تعالى: ﴿ذلك وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وبات عند العسكر ليلة الأحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والأمراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء، فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل، فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتفارط الحال، ولكنه استحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه، ويستغله في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، ثم قال لهم: لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم، وقوي جأشهم، وضمن لهم النصر في هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام.

فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً، بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر، وتحقق أهلُ الشام عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس متولي دمشق في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق، فتصايح النساء والولدان، ورهق الناس ذلة عظيمة وخمدة، وزلزلوا زلزالا شديداً، وغلقت الأسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الهرب؟ ويقولون: ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو، ودخل كثير من الناس القلعة وامتنع الناس من النوم والقرار وخرج كثير من الناس إلى البراري والقفار والمغر بأهاليهم من الكبار والصغار، ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش، فقد اقترب وصول التتر، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل، وسافر القاضي ابن جماعة وشمس الدين بن الحريري، ونجم الدين ابن صصري ووجيه الدين ابن منجا، وقد سبقتهم بيوتهم إلى مصر، وجاءت الأخبار بوصول التتر إلى سرمين وخرج الشيخ زين الدين الفاركي، والشيخ إبراهيم الرقي، وابن قوام وشرف الدين بن تيمية، وابن خبارة إلى نائب السلطنة الأفرم، فقووا عزمه على ملاقاة العدو، واجتمعوا بمهنا أمير العرب فحرضوه على قتال العدو، فأجابهم بالسمع والطاعة، وقويت نياتهم على ذلك، وخرج طلب سلار من دمشق إلى ناحية الجيش بالمرج، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة.

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد، والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج، وقد غلت الأسعار بدمشق جداً، حتى إنه بيع

خاروفان بخمسمائة درهم، واشتد الحال جدا، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا عامه ذلك، لضعف جيشه وقلة عددهم، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين والحمد لله رب العالمين.

ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق، وكان مخيما في المرج من مدة أربة أشهر متتابعة، وهو من أعظم الرباط، وتراجع الناس إلى أوطانهم. وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لغيبة مدرسها كمال الدين بن الشريشي بالكرك هارباً ثم عاد إليها في رمضان، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولعية عوضا عن جمال الدين الزرعي لغيبته.

وفي يوم الاثنين قرئت شروط الذمة عليهم وألزموا بها، واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات، وأخذهم بالصغار، ونودي بذلك في البلد، وألزم النصارى بالعمائم الزرق، واليهود بالصفر، والسامرة بالحمر، فحصل بسبب ذلك خير كثير، وتميزوا عن المسلمين.

وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بين مشاركة أرجواش والأمير سيف الدين أقجبا في نيابة القلعة، وأن يركب كل واحد منهما يوما، ويكون الآخر بالقلعة يوما، فامتنع أرجواش من ذلك.

وفي شوال درس بالإقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد، عوضا عن علاء الدين القونوي، بحكم إقامته بالقاهرة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرين من ذي القعدة عزل شمس الدين بن الحريري عن قضاء الحنفية، بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه، وذلك باتفاق من الوزير الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، ونائب السلطان الأفرم، وفيها وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق، في أواخر الشهر فانزلوا بالقلعة ثم ساروا إلى مصر.

وممن توفي من الأعيان

الشيخ الصالح

■ حسن الكردي: المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته، ويطعم من ورد عليه، وكان يزار، فلما احتضر اغتسل، وأخذ من شعره، واستقبل القبلة وركع ركعات، ثم توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين الرابع من جمادى الأولى، وقد جاوز المائة سنة.

الطواشي صفي الدين

■ جوهر النفليسي: المحدث، اعتنى بسماع الحديث، وتحصيل الأجزاء، وكان حسن الخلق صالحاً، لين الجانب، رجلا جيدا مباركا صالحا، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين.

الأمير عز الدين

■ محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهذباني الإربلي: متولي دمشق، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر، وربما جمع شيئا في ذلك، وكان يسكن بدرب سقور فعرف به، فيقال درب ابن أبي الهيجاء، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبعمائة، ختم الله لنا بخير في عافية آمين.

توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة، وكان مشكور السيرة، حسن المحاضرة.

الأمير جمال الدين

■ آقوش الشريفي: والي الولاة بالبلاد القبلية، توفي في شوال، وكانت له هيبة وسطوة وحرمة.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة

استهلت والخليفة الحاكم العباسي. وسلطان البلاد والناصر محمد بن قلاوون، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلار، وبالشام الأمير جمال الدين أقوش، والأفرم نائب دمشق، وفي أولها عزل الأمير قطلبك عن نيابة البلاد الساحلية، وتولاها الأمير سيف الدين أسندمر، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر، وتولى سيف الدين أقجبا المنصوري نيابة غزة، وجعل عوضه بالقلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجري، وهو من البرجية.

وفي صفر رجعت رسل ملك التتر من مصر إلى دمشق، فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامة.

وفي نصف صفر ولي تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الحنفي، عوضاً عن الشيخ ولي الدين السمرقندي، وإنما كان وليها ستة أيام، ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان، توفي وكان من كبار الصالحين، يصلي كل يوم مائة ركعة.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالقاعة السُّميساطية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له في ذلك، ورغبتهم فيه، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي، وفرحت الصوفية به، وجلسوا حوله، ولم تجتمع هذه المناصب قبله لغيره، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا: القضاء، والخطابة، ومشيخة الشيوخ.

قلت: قد اجتمعت بعد موت المؤلف لجماعة منهم برهان الدين بن جماعة وبعده شرف الدين وعلاء الدين بن أبي البقاء وشهاب الدين الباعوني، وقبله الغزي شهاب الدين، وشمس الدين الأخنائي وشهاب الدين بن حجي وغيرهم.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن البقفي بالديار المصرية، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقُّصه للشريعة المطهّرة، واستهزائه بالآيات المحكمات، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض، ويذكر عنه أنه كان يحل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك، لمن كان يجتمع به من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة.

هذا وقد كان له فضيلة، وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر، وبزته ولبسته جيدة، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكاملية بين القصرين استغاث بالقاضي تقي الدين بن دقيق العيد وقال: ما تعرف مني؟ فقال: إنما أعرف منك الفضيلة، ولكن حكمك إلى القاضي زين الدين فأمر القاضي للوالي أن يضرب عنقه، فضرب عنقه، وطيف برأسه في البلد، ونودي عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله.

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيها يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام يبارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى، منها سباع وحيات، وعقارب وطيور، ومعز، وبَلَشون ورجال في أوساطهم حوائص، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضي الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة.

وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شنق الشيخ علي الحوراني بواب الظاهرية على بابها، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندي.

وفي النصف منه حضر القاضي بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية، عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي، وذلك أنه ثبت بمحضر أنها لقاضي الشافعية بدمشق، فانتزعها من يد ابن الشريشي.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسي على أهله من بلاد التتر بعد أسر سنتين وأياماً، وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف، حتى تخلص منهم ورجع إلى أهله ففرحوا به.

وفي سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وأن ولده ولي الخلافة من بعده، وهو أبو الربيع سليمان، ولقب بالمستكفي بالله، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة، ودفن بالقرب من الست نفيسة، وله أربعون سنة في الخلافة، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين بن الحريري الحنفي، وبنظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر، واستمرت الخاتونية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلطنة.

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكفي بالله، وترحم على والده بجامع دمشق، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشي، وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة.

وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار، وجرد الأشجار، حتى صارت مثل العصي، ولم يعهد مثل هذا.

وفي هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخيابرة، وألزموا بأداة الجزية أسوة أمثالهم من اليهود، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله عليه الصلاة والسلام بوضع الجزية عنهم، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل، لما فيه من الألفاظ الركيكة، والتواريخ المخبّطة، واللحن الفاحش، وحاققهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وبين لهم خطأهم وكذبهم، وأنه مزور مكذوب، فأنابوا إلى أداء الجزية، وخافوا من أن يستعاد عليهم بالسنين الماضية.

قلت: وقد وقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر، وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من ثلاث سنين وشهادة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم إذ ذاك وإنما أسلم بعد ذلك بنحو من سنتين، وفيه: وكتب علي بن أبي طالب. وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبي الأسود الدؤلي عنه، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردي، وكبار أصحابنا في ذلك العصر، وقد ذكره في الحاوي وصاحب الشامل في كتابه وغير واحد، وبينوا خطأه ولله الحمد والمنة.

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية، وشكوا منه أنه يقيم الحدود، ويعزر ويحلق رؤوس الصبيان، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك، وبين خطأهم، ثم سكنت الأمور.

وفي ذي القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سيس عنوة، ففتحها المسلمون ولله الحمد.

وفيه قدم عز الدين بن ميسّر على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر.

وفي يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل، ومعه أولاده فأسلموا كلهم، فأكرمهم نائب السلطنة، وأمر أن يركب بخلعة، وخلفه الدبادب تضرب والبوقات إلى داره، وعمل ليلتئذٍ في داره ختمة عظيمة، حضرها القضاة والعلماء، وأسلم على يديه جماعة كثيرة من اليهود، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين، وأكرمهم الناس إكراماً زائداً.

وقدمت رسل ملك التتر في سابع عشر ذي الحجة فنزلوا بالقلعة، وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام، وبعد مسيرهم بيومين مات أرجواش، وبعد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سيس وقد فتحوا جانبا منها، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم، وخرج الناس للفرجة على العادة، وفرحوا بقدومهم ونصرهم.

وممن توفي فيها من الأعيان

أمير المؤمنين الخليفة

■ **الحاكم بأمر الله: أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمي العباسي البغدادي المصري،** بويع بالخلافة في الدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستمائة، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة، وتوفي ليلة الجمعة، ثامن عشر جمادى الأولى، وصلي عليه وقت صلاة العصر بسوق الخيل بمصر، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة، ودُفن قريباً من الست نفيسة وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبي الربيع سليمان ولقّب بالمستكفي بالله أمير المؤمنين.

خلافة المستكفي بالله

أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي

لما عهد إليه أبوه كتب تقليده بذلك، وقرئ بمحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وخطب له على المنابر بالديار المصرية والشامية، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الإسلامية.

وتوفي فيها:

الأمير عز الدين:

■ **أيبك بن عبد الله النجيبي الدوادار:** والي دمشق، وأحد أمراء الطبلخاناه بها، وكان مشكور السيرة، ولم تطل مدته ودفن بقاسيون، توفي يوم الثلاثاء، سادس عشر ربيع الأول.

الشيخ الإمام العالم شرف الدين أبو الحسن: علي بن الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد

■ اليونيني البعلبكي، وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه.

ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة، فأسمعه أبوه الكثير، وتفقه واشتغل، وكان عابداً عاملاً، كثير الخشوع، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب، فجعل يضربه بعصا في رأسه، ثم بسكين، فبقي متمرضاً أياماً، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس حادي عشر رمضان ببعلبك، ودفن بباب سطحا، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله، وحفظه الأحاديث، وتودده إلى الناس، وتواضعه، وحسن سمته ومروءته، تغمده الله تعالى برحمته.

الصدر ضياء الدين

■ أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامية، والد القاضي قطب الدين موسى الذي تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضاً، توفي يوم الثلاثاء عشرين ذي القعدة ودفن بقاسيون، وعمل عزاؤه بالرواحية.

الأمير الكبير المجاهد المرابط علم الدين

■ أرجواش بن عبد الله المنصوري، نائب القلعة بالشام، كان ذا هيبة وهمة، وشهامة وقصد صالح، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين، لما ملكت التتار الشام أيام قازان، وعصت عليهم القلعة، ومنعها الله منهم على يدي هذا الرجل، فإنه التزم أن لا يسلمها إليهم ما دام بها عين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فصلي عليه، وحضر نائب السلطنة فمن دونه جنازته، ثم حمل إلى سفح قاسيون، ودفن في تربته رحمه الله تعالى.

■ **الأبرقوهي المسند المعمر المصري:** هو الشيخ الجليل المسند الرحلة، بقية السلف شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب، الأبرقوهي الهمذاني ثم المصري، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان، سنة خمس عشرة وستمائة، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين، وخرجت له مشيخات، وكان شيخاً حسناً، لطيفاً متيقظاً، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله تعالى.

وفيها توفي:

■ **(محمد بن حسن بن علي قتادة الحسني).**

صاحب مكة الشريف أبو نُمَيّ محمد ابن الأمير أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني: صاحب مكة منذ أربعين سنة، وكان حليماً وقوراً، ذا رأي وسياسة، وعقل ومروءة.

وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصروي، الشافعي عفا الله عنه، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعمائة من الهجرة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي يوم الأربعاء ثاني صفر منها فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرطوس، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل، فجاءتها مراكب من الديار المصرية في البحر، واردٌ فيها جيوش طرابلس، ففتحت ولله الحمد إلى نصف النهار، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين، وأسروا قريباً من خمسمائة، ودقت البشائر بدمشق ثلاثة أيام سروراً وفرحاً وكان فتحها من تمام فتح السواحل، وأراح الله المسلمين من شر أهلها.

وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاة قاضي القضاة ابن دقيق العيد، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، فيه تعظيم له واحترام وإكرام، يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته، فتهيأ لذلك، ولما عزم خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد، وأعيان الناس ليودعوه، وستأتي ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات.

ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراماً زائداً، وخلع عليه خلعة صوف، وبغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول، ووصلت رسل التتار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر.

وباشر الشيخ شرف الدين الفزاري مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر، عوضاً عن شرف الدين الناسخ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الدين الفارسي، توفي بها عن سبعين سنة، وكان فيه بر ومعروف، وله أخلاق حسنة، رحمه الله تعالى.

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درساً مفيداً، وحضر عنده جماعة من الأعيان.

وفي يوم الجمعة حادي عشرين جمادى الأولى خلع على قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى بقضاء الشام، عوضاً عن ابن جماعة، وعلى الفارقي بالخطابة، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس التّلاوي بشد الدواوين وهنأهم الناس، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة، ثم جلس في الشباك الكمالي وقرئ تقليده مرة ثانية.

وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور، فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية، والقاضي شمس الدين بن الحريري، وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم ويريدون تولية قبجق على الشام، وأن الشيخ كمال الدين بن الزمالكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين آقوش الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل، ففحص عن واضعه، فإذا هو فقير كان مجاور بالبيت الذي كان مجاوراً محراب الصحابة، يقال له اليغموري، وآخر معه يقال له: أحمد الفناري، وكانا معروفين بالشر والفضول، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب، فتحقق نائب السلطنة ذلك، فعزرا تعزيراً عنيفاً، ثم وسطا بعد ذلك في مستهل جمادى الآخرة وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب، وهو التاج ابن المناديلي.

وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نيابة القلعة عوضاً عن أرجواش.

عجيبة من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة، أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة، ظهرت دابة من البحر عجيبة الخلقة، من بحر النيل إلى أرض المنوفية، بين بلاد منية مسوّد واصطباري والراهب، وهذه صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وآذانها كآذان الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة، ورقبتها مثل غلظ التِّلِّيس، المحشو تبناً، وفمها وشفتاها مثل الكربال، ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل، طول كل واحد دون الشبر في عرض إصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرساً، وسنّاً مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر مجعد، ودور حافرها مثل السكرجة، بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذارعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً، وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة أجمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد

جمل، وأحضروه إلى بين يدي السلطان بالقلعة، وحشوه تبناً، وأقاموه بين يديه والله أعلم.

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتر على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، واشتد خوفهم جداً، وقنت الخطيب في الصلوات، وقرئ البخاري وشرع الناس في الجفل إلى الديار المصرية، والكرك والحصون المنيعة، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن أوانها، فاشتد لذلك الخوف.

وفي شهر رجب باشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة، عوضاً عن الصدر أمين الدين بن هلال، توفي إلى رحمة الله تعالى وباشر نظر الجامع جمال الدين بن الصدر سليمان عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجي.

وفي يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين بن عبد السلام، وكان جمال الدين الزرعي يسُدُّ الوظيفة إلى هذا التاريخ.

وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة والطبلخاناه على أبواب الأمراء، بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتر المخذولين.

وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة عُرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الإسلام فيهم أسندمر وبهادرآص وكجكن وغرلو العادلي، وكل واحد منهم سيف من سيوف الملة والدين في ألف وخمسمائة فارس، مع التتر، وكان التتر في سبعة آلاف، فاقتتلوا وصبر المسلمون صبراً جيداً، فنصرهم الله وخذل التتر، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، وولوا عند ذلك مدبرين، وغنم المسلمون منهم غنائم، وعادوا سالمين، لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله تعالى بالشهادة، ووقعت البطاقة بذلك، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان، وكان يوم خميس النصارى.

أوائل وقعة شقحب

وفي ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين، فيهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير حسام الدين لاجين المعروف بالأستادار المنصوري، والأمير سيف الدين كراي المنصوري، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأيبك الخزندار فقويت القلوب واطمأن كثير من الناس، ولكن الناس في جفل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي، وتقهقر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص، ثم خافوا أن تدهمهم التتر فجاؤوا فنزلوا المرج في يوم الأحد خامس عشرين شعبان.

ووصل التتر إلى حمص وبعلبك، وعاثوا في تلك الأراضي فساداً، وقلق الناس قلقاً عظيماً، وخافوا خوفاً شديداً، واختبط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وقال الناس لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتر لكثرتهم، وإنما سببلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، وتحدث الناس بالأراجيف، فاجتمع الأمراء يوم الأحد المذكور بالميدان الأخضر وتحالفوا على لقاء العدو، وشجعوا أنفسهم، ونودي بالبلد أن لا يرحل أحد منه، فسكن الناس، وجلس القضاة بالجامع، وحلفوا جماعة من الفقهاء، والعامة على القتال.

وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم في القُطيفة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون على التتر، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين، ما وهم متلبسون به من المعاصي والظلم، هم متلبسون بما هو أعظم منه أضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتر، وقويت قلوبهم ونياتهم، ولله الحمد.

ولما كان يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية فخيمت على الجسورة من ناحية الكسوة، وممهم القضاة، فصار الناس فيهم فريقين فريق يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعا للقتال، فإن المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال، وقال فريق: إنما ساروا إلى تلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان، فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة، فقويت ظنون الناس في هربهم، وقد وصلت التتر إلى قارة، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيفة، فانزعج الناس لذلك انزعاجا شديداً، ولم يبق حول البلد من القرى والحواضر أحد، وامتلأت القلعة والبلد، وازدحمت المنازل والطرقات، واضطرب الناس.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه، فظنوا أنه إنما خرج هارباً فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت منعتنا من الجفل، وها أنت هارب من البلد؟ فلم يرد عليهم، وبقي البلد ليس فيه حاكم، وعاثت اللصوص والحرافيش فيه وفي بساتين الناس، يخربون وينهبون ما قدروا عليه، ويقطعون المشمش قبل أوانه، وكذلك الباقلاء والقمح والشعير وسائر الخضراوات، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش، وانقطعت الطرق إلى الكسوة، وظهرت الوحشة على البلد والحواضر، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن، ينظرون يمينا وشمالا، وإلى ناحية الكسوة، فتارة يقولون: رأينا غبرة فيخافون أن تكون من التتر، ويتعجبون من خبر الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم وعَددهم وعُددهم، أين ذهبوا؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم، فانقطعت الآمال، وألح الناس في الدعاء والابتهال، وفي الصلوات وفي كل حال، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبر عنه، لكن كان الفرج من ذلك قريباً، ولكن أكثرهم لا يعلمون، كما جاء في حديث أبي رزين: «عجب ربُّك من قنوط عباده، وقرب غيره، ينظرُ إليكم أزلين قَنطِينَ، فيظل يضحكُ يعلمُ أنَّ فرجَكُمْ قَرِيبٌ» [ج (١٨١)، مسند أحمد: ٤/١١، ١٢].

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير فخر الدين إياس المرقبي أحد أمراء دمشق، فبشر الناس بخير، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية، وقد أرسلني أكشف هل طرق البلد أحد من

التتر، فوجد الأمر كما يحب، لم يطرقها أحد منهم، وذلك أن التتر عرجوا عن دمشق إلى ناحية العساكر المصرية، ولم يشتغلوا بالبلد، وقد قالوا إن غَلَبنا فإن البلد لنا، وإن غُلبنا فلا حاجة لنا به، ونودي بالبلد في تطييب الخواطر، وأن السلطان قد وصل، فاطمأن الناس، وسكنت قلوبهم، وثبت الشهر ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الحنبلي، فإن السماء كانت مغيمة، فعلقت القناديل، وصليت التراويح، واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس، فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلي فاجتمع بنائب القلعة، ثم عاد سريعاً إلى العسكر، ولم يدر أحد ما أخبر به، ووقع الناس في الأراجيف والخوض.

وقعة شقحب

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من شدة الخوف وضيق الأمر، فرأوا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية العسكر والعدو، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم، فابتهلوا إلى الله عز وجل، بالدعاء في المساجد والبلد، وطلع النساء والصغار على الأسطحة، وكشفوا رؤوسهم وضج البلد ضجة عظيمة، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير، ثم سكن الناس.

فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة، والتحرز على الأسوار، فدعا الناس في المآذن والبلد، وانقضى النهار، وكان يوما مزعجا هائلا.

وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر، وخرج ناس إلى ناحية الكسوة، فرجعوا ومعهم شيء من المكاسب، ورؤوس التتر، وصارت كسرة التتار تقوى وتتزايد قليلا قليلا حتى اتضحت جملة، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولي القلعة، يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلا ونهارا وأنهم هربوا وفروا واعتصموا بالجبال والتلال، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم، وتباشروا بهذا الفتح العظيم، والنصر المبارك، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور، ونودي بعد الظهر بإخراج الجُفَّال من القلعة، لأجل نزول السلطان بها، وشرعوا في الخروج.

وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق، فبشروا الناس بالنصر.

وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد، ففرح الناس به ودعوا له، وهنؤوه بما يسر الله على يديه من الخير، وذلك أنه ندبه العسكر الشامي أن يسير إلى السلطان، يستحثه على السير إلى دمشق، فسار إليه فحثه على المجيء إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر، فجاء هو وإياه جميعاً، فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال، فقال له الشيخ: السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم، وحرض السلطان على القتال وبشره بالنصر، وجعل يحلف له بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً، وكان يدور على الأطلاب والأمراء، فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقووا على القتال أفضل، وكان يتأول في الشامين قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ مُلاقُو العَدُوِّ غَدَاً، والفِطْرُ أَقْوَى لَكُم» فعزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري [م (١١٢٠)، د (٢٤٠٦)]، وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان، ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً، وأمر بجواده فقيد حتى لا يهرب، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف، وجرت خطوب عظيمة، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي، أستاذ دار السلطان، وثمانية من الأمراء المقدمين معه، وصلاح الدين بن الملك الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل، وخلق من كبار الأمراء ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ، واستظهر المسلمون عليهم ولله الحمد والمنة.

فلما جاء الليل لجأ التتر إلى اقتحام التلول والجبال والآكام، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب، ويرمونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل، وجعلوا يجيئون بهم في الحبال، فتضرب أعناقهم، ثم اقتحم منهم جماعة للهزيمة فنجا منهم قليل، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهالك، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة، ولله الحمد والمنة.

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان، وبين يديه الخليفة، وزينت البلد وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد، فنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان، ثم إنه تحول إلى القلعة يوم الخميس، وصلى بها الجمعة، وخلع على نواب البلاد، وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم، واستقرت الخواطر، وذهب اليأس، وطابت قلوب الناس، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة، وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدغدي أمير علم، وعزل صارم الدين إبراهيم والي الخاص عن ولاية البر، وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال، بعد أن صام رمضان وعيَّد بدمشق.

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأفرم أن يولي عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفي الدين الهندي، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال، عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام.

ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، وكان يوماً مشهوداً، وزينت القاهرة.

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس، بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وكان جمهورها بالديار المصرية، تلاطمت بسببها البحار، فكسرت المراكب، وتهدمت الدور، ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، وتشققت الحيطان ولم ير مثلها في هذه الأعصار، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها.

وفي ذي الحجة باشر الشيخ أبو الوليد ابن الحاج الأشبيلي المالكي إمام محراب المالكية بجامع دمشق، بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصنهاجي.

وممن توفي فيها من الأعيان

■ ابن دقيق العيد: الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، القشيري المصري، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان، سنة خمس وعشرين وستمائة، بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز.

سمع الحديث الكثير، ورحل وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة، مفيدة فريدة، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة، ودرس في أماكن كثيرة، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة، ومشيخة دار الحديث الكاملية.

وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه: ما أظن بقي يخلق مثلك.

وكان وقوراً، قليل الكلام، غزير الفوائد، كثير العلوم في ديانة ونزاهة، وله شعر رائق.

توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر، وصلي عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخيل، وحضر جنازته نائب السلطان والأمراء، ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله تعالى.

الشيخ برهان الدين السكندري:

■ إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم، سمع الحديث وتفقه ودرس بالقوصية وأعاد وأفتى وناب في الخطابة مدة، وفي الحكم عن ابن جماعة وكان ديناً فاضلا، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة.

وبعد شهر سوىّ كانت وفاة. الصدر

■ جمال الدين بن العطار: كاتب الدرج منذ أربعين سنة. أبو العباس أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان الشيباني، كان من خيار الناس وأحسنهم نقية، ودفن بتربة لهم تحت الكهف، بسفح قاسيون، وتأسف الناس عليه لإحسانه إليهم رحمه الله تعالى.

الملك

■ العادل زين الدين كتبغا: توفي بحماة نائبا عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الأضحى، ونقل إلى تربته بسفح قاسيون، غربي الرباط الناصري، يقال لها العادلية، وهي تربة مليحة، ذات شبابيك وبوابة ومئذنة، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك، وكان من كبار الأمراء المنصورية.

وقد ملك البلاد بعد مقتل الأشرف خليل بن المنصور، ثم انتزع الملك منه لاجين، وجلس في قلعة دمشق، ثم تحول إلى صرخد، وكان بها حتى قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا، وكان من خيار الملوك وأعدلهم، وأكثرهم براً، وكان من خيار الأمراء والنواب رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي، وخلع عليه، وباشره مباشرة مشكورة، وساوى بين الناس، وعزل نفسه في رجب منها.

وفي شهر صفر تولى الشيخ شمس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأقام بها.

ولما توفي الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الأمور، فلما قدم تكلموا معه في وظائف الفارقي، فعين الخطابة لشرف الدين الفزاري، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني، ورسم بكتابة التواقيع بذلك، وباشر الشيخ شرف الدين الإمامة والخطابة، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته، وجودة سيرته.

فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وصل البريد من مصر صحبة الشيخ صدر الدين بن الوكيل، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي، مضافاً إلى ما بيده من التدريسين، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر، وخرج من عنده إلى الجامع، ففتح له باب دار الخطابة فنزلها، وجاءه الناس يهنونه، وحضر عنده القراء والمؤذنون، وصلى بالناس العصر، وباشر الإمامة يومين، فأظهر الناس التألم من صلاته وخطابته، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة، وأقره على التدريس ودار الحديث، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وخلع عليه بطرحة، وفرح الناس به، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل، وباشرها في مستهل جمادى الأولى، واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرستيه الأولين، وأظنهما العذراوية والشامية الجوانية.

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعادة السنجري إلى نيابة القلعة، وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندار نيابة حمص، عوضاً عن عز الدين الحموي، توفي.

وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر، وأضيف إليها ألفان من دمشق، وساروا وأخذوا معهم نائب حمص الجوكندار ووصلوا إلى حماة، فصحبهم نائبها الأمير سيف الدين قبجق، وجاء إليهم أسندمر نائب طرابلس، وانضاف إليهم قراسنقر نائب حلب، وانفصلوا كلهم عنها فانفرقوا فرقتين فرقة سارت صحبة قبجق إلى ناحية ملطية، وقلعة الروم والفرقة الأخرى صحبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات، وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة في ثالث عشر ذي القعدة بعد حصار طويل، فدقت البشائر بدمشق لذلك ووقع مع صاحب سيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ما وراء النهر إلى ناحيتهم لهم، وأن يعجلوا حمل ستين، ووقعت الهدنة على ذلك، بعد ما قتل خلق من أمراء الأرمن ورؤسائهم، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدين منصورين، ثم توجهت العساكر المصرية صحبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر.

وفي أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا، وهو ملك التتار قازان، واسمه محمود بن أرغون بن أبغا، وذلك في رابعه أو حادي عشره بالقرب أو ثالث عشره، بالقرب من همذان، ونقل إلى تربته بتبريز بمكان يسمى الشام، ويقال إنه مات مسموماً، وقام في الملك بعد أخوه خربندا محمد بن أرغون، ولقبوه الملك غياث الدين، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك النواحي والبلاد.

وحج في هذه السنة الأمير سيف الدين سلار نائب مصر، وفي صحبته أربعون أميراً، وجميع أولاد الأمراء، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادي، وتولى مكانه بالبركة الأمير ناصر الدين محمد الشيخي، وخرج سلار في أبهة عظيمة جداً، وأمير ركب المصريين الحاج أناق الحسامي، وترك الشيخ صفي الدين مشيخة الشيوخ فوليها القاضي عبد الكريم ابن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي، وحضر الخانقاه يوم الجمعة حادي عشرين من ذي القعدة، وحضر عنده ابن صصرى، وعز الدين بن القلانسي، والصاحب ابن ميسّر، والمحتسب وجماعة.

وفي ذي القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الإسلام، وهو الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، وفي صحبته نحو من عشرة، فحضروا الجمعة في الجامع، وتوجهوا إلى مصر، فأكرم وأعطى إمرة ألف، وكان مقامه ببلاد آمد، وكان يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر، فلهذا عظم شأنه في الدولة الناصرية.

وممن توفي فيها من الأعيان

ملك التتر

■ قازان بن أرغون بن أبغا، تقدم.

الشيخ القدوة العابد الزاهد الورع أبو إسحاق

■ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي الحنبلي، كان أصله من بلاد الشرق، ومولده بالرقة، في سنة سبع وأربعين وستمائة، واشتغل وحصل، وسمع شيئا من الحديث، وقدم دمشق فسكن بالمئذنة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع، وكان معظماً عند الخاص والعام، فصيح العبارة، كثير العبادة، خشن العيش، حسن المجالسة، لطيف المفاكهة،كثير التلاوة، قوي التوجه من أفراد العالم، عارفاً بالتفسير والحديث، والفقه والأصلين، وله مصنفات، وخطب، وله شعر حسن،توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم، وصلي عليه عقيب الجمعة، ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي هذا الشهر توفي: الأمير زين الدين

■ قراجا، أستدار الأفرم، ودفن بتربته بميدان الحصا عند النهر.

والشيخ شمس الدين

■ محمد بن إبراهيم بن عبد السلام: عرف بابن الحبلي، كان من خيار الناس، يتردد إلى عكا أيام كانت الفرنج، في فكاك أسارى المسلمين، جزاه الله خيراً، وعتقه من النار، وأدخله الجنة برحمته.

■ (عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي).

الخطيب ضياء الدين: أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي، خطيب بعلبك نحواً من ستين سنة بعد والده، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الكثير، وتفرد عن القزويني، وكان رجلا جيداً، حسن القراءة، من كبار العدول، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر، ودفن بباب سطحا.

الشيخ زين الدين

■ الفارقي: عبد الله بن مروان بن عبد الله، بن فهر بن الحسن، أبو محمد الفارقي، شيخ الشافعية ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، واشتغل ودرس في عدة مدارس، وأفتى مدة طويلة، وكانت له همة، وشهامة وصرامة، وكان يباشر الأوقاف جيداً، وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها زمن قازان، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة، من بعد النووي إلى حين وفاته، وكانت معه الشامية البرانية، وخطابة الجامع الأموي تسعة أشهر، باشر به الخطابة قبل وفاته، وقد انتقل إلى دار الخطابة، وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر، وصلى عليه ضحوة يوم السبت، ابن صصرى عند باب الخطابة، وبسوق الخيل قاضي الحنفية شمس الدين بن الحريري، وعند جامع الصالحية قاضي الحنابلة تقي الدين سليمان، ودفن بتربة أهله شمالي تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزاري ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل، والشامية البرانية ابن الزملكاني وقد تقدم ذلك.

الأمير الكبير

■ عز الدين أيبك الحموي: ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخد، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر، ونقل إلى تربته بالسفح غربي زاوية ابن قوام، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب، الذي يقال له حمام الحموي، عمره في أيام نيابته.

الوزير فتح الدين: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صَغير القرشي المخزومي

■ ابن القيسراني، كان شيخاً جليلا، أديباً شاعراً مُجيداً،من بيت رياسة ووزارة، ولي وزارة دمشق مدة، ثم أقام بمصر موقعا مدة، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه وإسماعه، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى، وقد خرج عنه الحافظ الدمياطي، وهو آخر من توفي من شيوخه، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر، وأصلهم من قيسارية الشام، وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد، وكان من الكتاب المجيدين المتقنين، له كتابة جيدة محررة جداً، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وأبوه محمد بن نصر بن صغير ولد بعكا قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فلما أخذت بعد التسعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب فكانوا بها، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك.

وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص

■ عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي من بني حصلة، وهم ينتسبون إلى الشرف، وبأيديهم نسب، وقف على بعضها شيخنا المزي، فأعجبه ذلك وابتهج به، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك: القرشي من قرية يقال لها الشركوين غربي بصرى، بينها وبين أذرعات، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة، وحفظ جمل الزجاجي، وعني بالنحو والعربية واللغة، وحفظ أشعار العرب، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق، في المديح والمراثي، وقليل من الهجاء، وقرر في مدارس بصرى بمبرك الناقة شمالي البلد حيث يزار، وهو المبرك المشهور عند الناس، والله أعلم بصحة ذلك.

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتمذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي، والشيخ تاج الدين الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني، فأقام بها نحواً من اثنتي عشرة سنة،

ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الوالدة، فأقام بها مدة طويلة، في خير وكفاية، وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيداً، وله قبول عند الناس، ولكلامه وَقْع لديانته وفصاحته وحلاوته، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق وجود الحلال له ولعياله.

وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل، ثم يونس وإدريس، ثم من الوالدة عبد الوهاب، وعبد العزيز، ومحمد، وأخوات عدة، ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ مقدمة في النحو، وحفظ التنبيه، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصل المنتخب في أصول الفقه، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياماً ومات، فوَجَد الوالد عليه وجداً كثيراً، ورثاه بأبيات كثيرة، فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وآخرهم وأصغرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لمن بقي.

وكانت وفاة الوالد في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة، بقرية مجيدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتونة، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدركه إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق، صحبة الأخ كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر، والله أعلم.

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه، فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي مخرجه له، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت، وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار: قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية، وهي قرية من أعمال بصرى، رجل فاضل، له نظم جيد، ويحفظ كثيراً من اللغز، وله همة وقوة، كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصرى، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي، خطيب القرية بها لنفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وستمائة: الطويل

نَأى النَّوْمُ عَنْ جَفْنِي فَبِتُّ مُسَهَّداً ... أُعَانِقُ كَلْسَ الصَّبَّابَةِ مُوجِعا

سَهِيرَ الثُّرَيَّا والنُّجُومِ مُتَلِّهاً ... فَبِتُّ وَلَهْبِي خِلْتُ الكَوَاكِبَ رُكَّدا

طَرِيحاً عَلَى فَرْشِ الصَّبَابَةِ والأَسَى ... فَمَا ضَرَّكُمْ لَوْ كُنْتُمُ لِي عُوَّدا

تَقَلَّبَنِي أَيْدِي الغَرَامِ بِلَوْعَةٍ ... أَرَى النَّارَ مِنْ تَلْفَائِهَا لِيَ أَبْرَدَا

وَمَزَّقَ صَبْرِي بَعْدَ جِيرَانِ حَاجِزٍ ... سَعِيرُ غَرَامٍ بَاتَ فِي القَلْبِ مُوقَدَا

فَأَمْطَرْتُهُ دَمْعِي لَعَلَّ زَفِيرَهُ ... يَقِلُّ فَزَادَتْهُ الدُّمُوعُ تَوَقُّدَا

فَبِتُّ بِلَيْلٍ لَابِثٍ لَا أَرَى ... عَلَى النَّأْيِ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ مُسْعِدا

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَبَاعَدَ فَجْرُهُ ... عَلَيَّ إِلَى أَنْ خِلْتُهُ قَدْ تَخَلَّدَا

غَرَامٌ وَوَجْدٌ لَا يُحَدُّ أَقَلُّهُ ... بِأَهْيَفَ مَغْسُولِ المَرَاشِفِ أَغْيَدَا

لَهُ طَلْعَةٌ كَالبَدْرِ زَانَ جَمَالُهَا ... بِطُرَّةِ شَعْرٍ حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْوَدَا

يَهُزُّ مِنَ القَدِّ الرَّشِيقِ مُثَقَّفاً ... وَيَسْهَرُ مِنْ جَفْنَيْهِ سَبْعاً مُهَنَّدَا

وَفِي وَرْدِ خَدَّيْهِ وَآسِ عِذَارِهِ ... وَضَرْبِ ثَنَايَاهُ فَبِتُّ تَجَلُّدَا

غَدَا كُلُّ حُسْنٍ دُونَهُ مُتَقَاصِراً ... وَأَضْحَى لَهُ رَبُّ الجَمَالِ مُؤَخِّدَا

إِذَا مَا رَنَا وَاهْتَزَّ عِنْدَ لِقَائِهِ ... سَبَاكَ، فَلَمْ تَمْلِكْ لِسَاناً وَلَا يَدَا

وَتَسْجُدُ إِجْلَالاً لَهُ وَتَرَاهُ فِي ... وَتُقْسِمُ قَدْ أَسْبَيْتُ فِي الحُسْنِ أَوْحَدَا

وَرُبَّ أَخِي كُفْرٍ تَأَلَّقَ حُسْنُهُ ... فَأَسْلَمَ مِنْ إِخْلَاصِهِ وَتَشَهَّدَا

وَأَنْكَرَ عِيسَى وَالصَّلِيبَ وَمَرْيَماً ... وَأَصْبَحَ يَهْوَى بَعْدَ بُغْضٍ مُحَمَّدَا

أَيَا كَعْبَةَ الحُسْنِ الَّتِي طَافَ حَوْلَهَا ... فُؤَادِي، أَمَا لِلصَّدِّ عِنْدَكِ مِنْ بَدَا؟

قَنِعْتُ بِطَيْفٍ مِنْ خَيَالِكِ طَارِقٍ ... وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِوَصْلِكِ سَرْمَدَا

فَقَدْ شَفَّنِي شَوْقٌ تَجَاوَزَ حَدَّهُ ... وَحَسْبُكِ مِنْ شَوْقٍ تَجَاوَزَ وَاعْتَدَا

سَأَلْتُكِ إِلَّا مَا مَرَرْتِ بِحَيِّنَا ... بِفَضْلِكِ يَا رَبَّ المَلَاحَةِ وَالنَّدَى

لَعَلَّ جُفُونِي أَنْ تَفِيضَ دُمُوعُهَا ... وَيَسْكُنَ قَلْبٌ مُذْ هَجَرْتِ فَمَا هَدَا

غَلِطْتِ بِهِجْرَانِي وَلَوْ كُنْتِ صَابِياً ... لَمَا صَدَّكِ الوَاشُونَ عَنِّي وَلَا العِدَا

وعدتها ثلاثة وعشرون بيتا والله يغفر له ما صَنَع من الشعر.

ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة

استهلت والخليفة والسلطان والحكام والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول حضرتُ الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري بجامع الحاكم بعد أن جدده من خرابه بالزلزلة التي طرقت ديار مصر، في آخر سنة ثنتين وسبعمائة، وجعل القضاة الأربعة هم المدرسين للمذاهب، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي، وشيخ النحو أثير الدين أبو حيان، وشيخ القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي، وشيخ إفادة العلوم الشيخ علاء الدين القونوي.

وفي جمادى الآخرة باشر الأمير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بكتمر، وصارا حاجبين كبيرين في دمشق.

وفي رجب منها أُحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دِلْقاً كبيراً متسعاً جداً، يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق، فتناهبه الناس من كل جانب،وقطعوه حتى لم يدعوا منه شيئاً، وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانوا طوالا جداً، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة، واستتابه من كلام الفحش، وأكل ما لا يجوز أكله من المحرمات ومما يغير العقل من الحشيشة وغيرها، وبعده استحضر الشيخ محمد الخباز البلاسي، فاستتابه أيضا عن أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوبا أن لا يتكلم في تعبير المنامات، ولا في غيرها بما لا علم له به.

وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد النارنج، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة، وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه، فحسد على ذلك وعودي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالى، ولم يصلوا إليه بمكروه، وأكثر ما نالوا منه الحبس، مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام، ولم

يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه كما سيأتي، وإلى اللّه إياب الخلق وعليه حسابهم.

وفي رجب جلس قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة، وعملت التخوت بعدما جددت عمارة المدرسة، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها، وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزاري بوكالة بيت المال فلم يقبل، وللشيخ كمال الدين بن الزملكاني بنظر الخزانة فقبل وخلع عليه بطرحة، وحضر بها يوم الجمعة، وهاتان الوظيفتان كانتا مع نجم الدين بن أبي الطيب توفي إلى رحمة اللّه.

وفي شعبان سعى جماعة في تبطيل الوقيد ليلة النصف، وأخذوا خطوط العلماء في ذلك، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يتفق ذلك، بل أشعلوا وصليت صلاة ليلة النصف أيضاً.

وفي خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر بوكالة بيت المال، ولبس الخلعة يوم الجمعة سابع رمضان، وحضر عند ابن صصرى بالشباك الكمالي.

وفي سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيخي، وقطع إقطاعه، ورسم عليه وعوقب إلى أن مات في ذي القعدة، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا وخلع عليه.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة حكم قاضي القضاة جمال الدين الزواوي بقتل الشمس محمد بن جمال الدين عبد الرحيم الباجربقي، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم، بعد إثبات محضر عليه يتضمن كفر الباجُرْبَقي المذكور، وكان ممن شهد عليه فيه الشيخ مجد الدين التونسي النحوي الشافعي، فهرب الباجربقي إلى بلاد الشرق، فمكث بها مدة سنين، ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتي.

وفي ذي القعدة كان نائب السلطنة في الصيد فقصدهم في الليل طائفة من الأعراب، فقاتلهم الأمراء، فقتلوا من العرب نحو النصف، وتوغل في العرب أمير يقال له سيف الدين بهادر سمز احتقاراً بالعرب، فضربه واحد منهم برمح فقتله، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقاً أيضاً، وأخذوا واحداً منهم زعموا أنه هو الذي قتله، فصلب تحت القلعة، ودفن الأمير المذكور بقبر الست وفي ذي القعدة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة من الفقهاء في الفتاوى الصادرة من الشيخ علاء الدين بن العطار، شيخ دار الحديث النورية والقوصية، وأنها مخالفة لمذهب الشافعي، وفيها تخبيط كثير، فتوهم من ذلك، وراح إلى الحنفي فحقن دمه وأبقاه على وظائفه، فبلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه، ورسم عليهم ثم اصطلحوا، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء.

وفي مستهل ذي الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية وجماعة من أصحابه، إلى جبل الجرد والكسروانين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، فاستتابوا خلقاً منهم، وألزموهم بشرائع الإسلام، ورجع مؤيداً منصوراً.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ **تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي:** شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة عديدة، وعنه تكتب إجازات الفقراء، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح.

الصدر نجم الدين

■ **عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبي الكتائب بن محمد بن أبي الطيب،** وكيل بيت المال، وناظر الخزانة، وقد ولي في وقت نظر المارستان النوري وغير ذلك، وكان مشكور السيرة، رجلا جيداً، وقد سمع الحديث وروى أيضاً، وتوفي ليلة الثلاثاء، الخامس عشر من جمادى الآخرة، ودفن بتربتهم بباب الصغير.

ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون فيما مضى، وجاء الخبر في أولها أن جماعة من التتر كمنوا لجيش حلب، وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك.

وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين القزويني أخو قاضي القضاة إمام الدين نيابة عن ابن صصرى.

وفي ثانيه خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية، وقد كان تقدم بين يديه طائفة منهم بعد خروج ابن تيمية في ثاني المحرم، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة، فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم فنصرهم اللّه عليهم، وأبادوا خلقا كثيراً منهم ومن فرقتهم الضالة، ووطئوا أراضٍ كثيرة من منيع بلادهم، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق، في صحبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والجيش، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير، وأبان الشيخ علما وشجاعة في هذه الغزوة، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً.

وفي مستهل جمادى الأولى قدم القاضي أمين الدين أبو بكر بن القاضي وجيه الدين عبد العظيم بن الرقاقي المصري من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق، عوضاً عن عز الدين بن ميسّر.

ذِكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية مع الأحمدية، وكيف عقدت له المجالس الثلاثة

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق، وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية، فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إنكاره عليهم، وأن يسلم لهم حالهم، فقال الشيخ: هذا ما يمكن، ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة، قولا وفعلا، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه وعلى كل أحد. فأرادوا أن يفعلوا شيئا من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعاتهم، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا إلى الحمام، وليغسل جسده غسلا جيداً، ويدلكه بالخل والأشنان، ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقاً، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة المحمدية إذا كان صاحبها على السنة، فما الظن بخلاف ذلك! فابتدر شيخ المنيع الشيخ صالح وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة وكثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج على الكتاب والسنة ضربت عنقه، وصنف الشيخ جزءاً في طريقة

الأحمدية، وبين فيه فساد أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم، وما هم فيه طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب والسنة، وأظهر الله السنة على يديه وأخمد بدعتهم ولله الحمد والمنة.

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على علاء الدين بن معبد وعز الدين خطاب، وسيف الدين بكتمر مملوك بكتاش الحسامي بالإمرة ولبسوا التشاريف، وركبوا بها وسلموا إليهم جبل الجرد والكسروان والبقاع.

وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة، ونصبوا هناك منبراً، وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء، وكان مشهداً هائلا، وخطبة عظيمة فصيحة، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك.

أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء، وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر، وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية، وحصل بحث في أماكن منها، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة، ثاني عشر الشهر المذكور، وحضر الشيخ صفي الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً، ولكنّ ساقيه لاطمت بحراً، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزملكاني هو الذي يحاققه من غير مساحة، فتناظرا في ذلك، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وجودة ذهنه، وحسن بحثه، حيث قاوم ابن تيمية في البحث، وتكلم معه، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة، وعاد الشيخ إلى منزله معظماً مكرماً، وبلغني أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القصاعين على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء.

وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك، كان الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف، والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه، وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنبجي، وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي، وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه، لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له ومحبتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامة في الحق، وعلمه وعمله.

ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة، في الصيد وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعزر بعضهم.

ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلا في الرد على الجهمية من كتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري تحت قبة النسر، بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين، وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصرى، وكان عدو الشيخ فسجن المزي، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين فتألم لذلك، وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، وراح إلى القصر فوجد القاضي هنالك، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المزي، فحلف ابن صصرى لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه، فأمر النائب بإعادته تطييباً لقلب القاضي، فحبسه عنده في القوصية أياماً ثم أطلقه.

ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه وحق أصحابه في غيبته، فتألم النائب لذلك، ونادى في البلد أن لا يتكلم أحد في العقائد، ومن عاد تكلم في ذلك حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته، فسكنت الأمور، ولقد رأيت فصلا من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات.

ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر، واجتمع الجماعة على الرِّضا بالعقيدة المذكورة، وفي هذا اليوم عزل ابن صَصْرَى نفسه عن الحكم، بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في المجلس المذكور، وهو الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن صصرى إلى القضاء، وذلك بإشارة المنبجي، وفي الكتاب: إنا كنا وسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وأنه على مذهب السلف، وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه.

ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين، وفيه الكشف عما وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جاغان والقاضي إمام الدين القزويني، وأن يحمل هو والقاضي ابن صصرى إلى مصر، فتوجها على البريد نحو مصر، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه، وبكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأشار عليه نائب السلطنة الأفرم بترك الذهاب إلى مصر، وقال له أنا أكاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا، فامتنع الشيخ تقي الدين من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة ومصالح كثيرة، فلما توجه إلى مصر ازدحم الناس لوداعه، ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم ما بين باك وحزين، ومتفرج ومتنزه ومزاحم متغال فيه.

فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غزة، فعمل بجامعها مجلساً عظيما، ثم رحلا معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخلا مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل إنهما دخلاها يوم الخميس.

فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ تقي الدين مجلس بالقلعة، اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة، وأراد أن يتكلم على عادته فلم يمكّن من البحث والكلام، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصماً احتساباً، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه، فأخذ الشيخ في حمد الله، والثناء عليه، فقيل له أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم فيَّ؟ فقيل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي فغضب غضباً شديداً وانزعج، وأقيم مرسَّما عليه، وحبس في برج أياما، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب، هو وأخواه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صَصْرَى فإنه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنجبي شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له ماقتة، والنفوس منه نافرة، وقرئ تقليده بالجامع، وبعده قرئ كتاب فيه الحط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادي بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجي، وساعدهم جماعة من الفقهاء كثيرة والفقراء، وجرت فتن كثيرة منتشرة، نعوذ بالله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحراني، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالُهم حالَهم.

وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوي، يستأذن السلطان في بيع طائفة من قناديل الحرم النبوي لينفق ذلك في بناء مئذنة عند باب السلام الذي عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان في جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع في بنائها، وولى سراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة، فشق ذلك على الروافض.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذرعي الحنفي قضاء الحنفية، عوضاً عن ابن الحريري معزولا، وتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزاري الخطابة عوضاً عن عمه الشيخ شرف الدين توفي إلى رحمة الله، وخلع عليهما بذلك، وباشرا في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر، وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة، حضرها الناس والأعيان، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة، وآثر بقاءه على تدريس البادرائية حتى بلغه أنها طُلبت لتأخذ منه، فبقي منصب الخطابة شاغراً، ونائب الخطيب يصلي بالناس ويخطب ودخل عيد الأضحى وليس للناس خطيب، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بإلزامه بذلك، وفيه: لعلمنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرائية، فباشرها معها مرة ثانية، ثم إن كمال الدين بن الشيرازي، سعى في البادرائية فأخذها، وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني، فعزل الفزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته، فراسله نائب السلطان في ذلك، فصمم على العزل وأنه لا يعود إليها أبداً، وذكر أنه عجز عنها، فلما تحقق ذلك نائب السلطنة أعاد إليه مدرسته، وكتب له بها توقيعا في العشر الأول من ذي الحجة، وخلع على شمس الدين بن الحظيري بنظر الخزانة، عوضا عن ابن الزملكاني.

وحج بالناس الأمير شرف الدين حسين بن جندر.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرُّجيحي بن سابق بن الشيخ يونس

■ القُنَّي، ودفن بزاويتهم التي بالشرف الشمالي بدمشق غربي الوراقة والعزية، يوم الثلاثاء سابع المحرم.

الملك

■ الأوحد ابن الملك تقي الدين شاذي بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي، توفي بجبل الجُرد، في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر، وله من العمر سبع وخمسون سنة، فنقل إلى تربتهم بالسفح، وكان من خيار الدولة، معظما عند الملوك والأمراء، وكان يحفظ القرآن، وله معرفة بعلوم، ولديه فضائل.

الصدر علاء الدين:

■ علي بن معالي الأنصاري الحراني الحاسب، يعرف بابن الوزير، وكان فاضلا، بارعا في صناعة الحساب، انتفع به جماعة، توفي في أواخر صفر من هذه السنة فجأة، ودفن بقاسيون، وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيوري عنه.

الخطيب شرف الدين أبو العباس

■ أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري، الشيخ الإمام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن، ولد سنة ثلاثين، وسمع الحديث الكثير، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح والسخاوي وغيرهما، وتفقه وأفتى، وناظر وبرع، وساد أقرانه، وكان أستاذاً في العربية واللغة، والقراءات، وإيراد الأحاديث النبوية، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم، وكان فصيح العبارة، حلو المحاضرة، لا تمل مجالسته، وقد درس بالطيبة وبالرباط الناصري مدة، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارقي في سنة ثلاث، ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء، عشية التاسع من شوال، عن خمس وسبعين سنة، وصلي عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله، وولي الخطابة بعده ابن أخيه.

شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير

■ الدمياطي: وهو الشيخ الإمام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي.

حامل لواء هذا الفن - أعني صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبر السن والقدر، وعلو الإسناد، وكثرة الرواية، وجودة الدراية، وحسن التصنيف، وانتشار التآليف، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق، مولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستمائة، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالإسكندرية، سمع الكثير على المشايخ، ورحل وطاف، وحصل وجمع فأوعى، ولكن ما منع ولا بخل، بل بذل وصنف، ونشر العلم، وولي المناصب بالديار المصرية، وانتفع الناس به كثيراً، وجمع معجماً لمشايخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق، وديار مصر يزيدون على ألف وثلاثمائة شيخ، وهو مجلدان وله الأربعون المتباينة الإسناد وغيرها، وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أجاد فيه وأفاد، وجمع ما لم يسبق إليه، وله كتاب الذكر والتسبيح عقيب الصلوات، وكتاب التسلي في الاغتباط بثواب من تقدَّم من الأفراط، وغير ذلك من الفوائد الحسان، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته، وهو صائم في مجلس الأمراء، غشي عليه فحمل إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد خامس عاشر ذي القعدة بالقاهرة، ودفن من الغد بمقابر باب النصر، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل.

وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة، وذلك في ربيع الأول، وهنئ بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ولم تحصل له مباشرة لغيبة نائب السلطنة في الصيد، فلما حضر أذن له فباشر يوم الجمعة العشرين من الشهر، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة، ثم خلع عليه وخطب يومئذ.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي الشافعي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي، عوضاً عن تاج الدين صالح بن ثامر بن حامد بن علي الجعبري، وكان معمرا قديم الهجرة كثير الفضائل، دينا ورعاً، جيد المباشرة، وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخمسين وستمائة، فلما تولى ابن صَصْرَى كره نيابته.

وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضي شمس الدين الأذرعي الحنفي، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريري فذهبوا ليهنئوه مع البريدي إلى الظاهرية، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة، فشرع الشيخ علم الدين البرزالي في قراءته، فلما وصل إلى الاسم تبين أنه ليس له وأنه للأذرعي، فبطل القارئ وقام الناس مع البريدي إلى الأذرعي، وحصلت كسرة وخمدة على الحريري والحاضرين، ووصل مع البريدي أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى القاهرة، فتوهم من ذلك، وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، فتلطف به نائب السلطنة، وداوى عنه حتى أعفي من الحضور إلى مصر والحمد لله.

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ بُرَاق إلى دمشق، وفي صحبته مائة فقير، كلهم محلوقون قد وفّروا شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤوسهم قرون لبايد، وعليهم أجراس وكعاب، وجواكين خشب، فنزلوا بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا، ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم، فعادوا إلى دمشق فصاموا بها رمضان، ثم انشمروا راجعين إلى بلاد الشرق، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا، ولا منزلاً ولا مقيلاً. وقد كان شيخهم براق المذكور روميا، من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة، وذلك أنه سلط عليه نمراً فزجره فهرب منه وتركه، فحظي عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفا ففرقها كلها فأحبه، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة، وكان يزعم أن طريقه الذي سلكه إنما سلكه ليُخرِّب على نفسه، ويرى أنه زيّ المسخرة، وأن هذا هو الأليق بالدنيا، والمقصود إنما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك، ونحن إنما نحكم بالظاهر، والله أعلم بالسرائر.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر تدريس النجيبية القاضي بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمي الحلبي، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين الطوسي توفي، وحضر عنده قاضي ابن صَصْرَى وجماعة من الفضلاء.

وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب والنصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس العلائي، ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتئذ، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات، وحصل للناس أذى كثير، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط.

وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلي بحقن دم محمد بن الباجربقي، وأثبت عنده محضراً بعداوة ما بينه وبين الشهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكي، حين حكم بإراقة دمه، وممن شهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام، وزين الدين بن الشريف عدنان، وقطب الدين ابن شيخ السلامية وغيرهم.

وفيها باشر كمال الدين بن الزملكاني نظر ديوان ملك الأمراء، عوضاً عن شهاب الدين الحنفي، وذلك في آخر رمضان وخلع عليه بطيلسان وخلعة، وحضر بها دار العدل.

وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلار نائب مصر القضاة الثلاثة، وجماعة من الفقهاء، فالقضاة المالكي والشافعي والحنفي، والفقهاء الباجي والجزري والنمراوي، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس، فاشترط بعض الحاضرين عليه شروطا في ذلك، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة، وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه في ذلك، فامتنع من الحضور وصمم، وتكررت الرسل إليه ست مرات، فصمم على عدم الحضور، ولم يلتفت إليهم ولم يعدهم شيئا، فطال عليهم المجلس، فتفرقوا وانصرفوا غير مأجورين.

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس، ويخطب بجامع دمشق، عوضاً عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفي، فصلى الظهر يومئذ، وخطب الجمعة، واستمر في الإمامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة في مستهل ذي القعدة وحضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته.

وفي مستهل ذي القعدة كمل بناء الجامع الذي أنشأه وبناه وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم بالسفح شمالي الرباط الناصري بالصالحية، ورتب فيه خطيباً يخطب به يوم الجمعة، وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي، وحضر نائب السلطنة والقضاة، وشكرت خطبة الخطيب به، ومد الصاحب شهاب الدين الحنفي سماطا بعد الصلاة بالجامع المذكور، وهو الذي كان الساعي في عمارته، والمستحث عليها، فجاء في غاية الإتقان والحسن، تقبل الله منهم.

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن صَصْرَى القاضي صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعفري خطيب داريا في الحكم، عوضا عن جلال الدين القزويني، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم.

وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ صفي الدين أبي القاسم محمد الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية، عوضاً عن الأذرعي، مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية، وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه، وحكم بالنورية، وقرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية، من جامع بني أمية.

وفي ذي الحجة ولّي الأمير عز الدين بن صبرة على الصُّفقة القبلية والي الولاة، عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش الرستمي، بحكم ولايته شد الدواوين بدمشق، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكالته للرئيس عز الدين بن حمزة بن القلانسي، عوضاً عن ابن عمه شرف الدين، فكره ذلك.

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الجب، فأرسل في طلبه فجيء به، فقرئ على الناس، وجعل يشكر الشيخ ويثني عليه، وعلى علمه، وديانته، وشجاعته وزهده، وقال ما رأيت مثله، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله، وأنه لم يقبل من أحد شيئا لا من النفقات السلطانية، ولا من الكسوة، ولا من الإدرارات ولا غيرها، ولا تدنس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقي الدين - شرف الدين وزين الدين - من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلار، وحضر نائب السلطنة ابن مخلوف المالكي، وجرى بينهم كلام كثير، فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام، وفي مسألة النزول.

وفي يوم الجمعة أحضر شرف الدين أخو الشيخ تقي الدين وحده في مجلس نائب السلطنة سلار وحضر ابن عَدْلان وتكلم معه الشيخ شرف

الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه أيضا . وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين ذي الحجة وصل على البريد من مصر نجم الدين محمد ابن الشيخ فخر الدين ابن أخي قاضي القضاة البصراوي، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق، عوضاً عن جمال الدين يوسف العجمي، وخلع عليه بطيلسان، ولبس الخلعة ودار بها في البلد، في مستهل سنة سبع وسبعمائة.

وفي هذه السنة عمر في حرم مكة نحو مائة ألف.

وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون.

وممن توفي فيها من الأعيان

القاضي تاج الدين:

■ صالح بن ثامر بن حامد بن علي الجعبري الشافعي، نائب الحكم بدمشق، ومعيد الناصرية.

كان ثقة ديناً، عدلا مرضياً زاهدا، حكم من سنة سبع وخمسين وستمائة، له فضائل وعلوم، وكان حسن الشكل والهيئة، توفي في ربيع الأول، عن ست وسبعين سنة، ودفن بالسفح ونـاب في الحكم بعده نجم الدين الدمشقي.

الشيخ ضياء الدين الطوسي:

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي، مدرس النجيبية، شارح الحاوي ومختصر ابن الحاجب.

كان شيخاً فاضلا بارعاً، وأعاد في الناصرية أيضاً، توفي يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عشرين من جمادى الأولى، وصلي عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان، ودفن بالصوفية، ودرس بعده بالمدرسة بهاء الدين العجمي.

الشيخ جمال الدين

■ إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي: المعروف بابن السَّاملي، والسوامل: الطاسات، كان معظما ببلاد الشرق جداً، كان تاجراً كبيراً، توفي هذا الشهر المذكور.

الشيخ الجليل سيف الدين

■ الرجيحي بن سابق بن هلال بن يونس، شيخ اليونسية بمقامهم، صلي عليه سادس رجب بالجامع، ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان، والقضاة والأمراء، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته، وكان ضخم الهامة جداً، محلوق الشعر، وخلف أموالا وأولاداً.

الأمير الكبير

■ فارس الدين الردادي: توفي في العشر الأخير من رمضان، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له: أنت مغفور لك، ونحو هذا، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

الشيخ القدوة العابد

■ أبو عبد الله بن مطرف توفي بمكة في شهر رمضان مكث مجاورا ستين سنة وكان يطوف كل يوم وليلة خمسين أسبوعاً، وتوفي عن تسعين سنة، رحمه الله.

■ (محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي).

الشيخ الإمام العابد الزاهد خطيب دمشق شمس الدين: محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي،إمام الكلاسة، كان شيخا حسنا، بهي المنظر، كثير العبادة عليه سكون ووقار، باشر إمامة الكلاسة قريبا من أربعين سنة، ثم خُطب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع، من غير سؤال منه ولا طلب، فباشرها ستة أشهر ونصفاً أحسن مباشرة، وكان حسن الصوت، طيب النغمة، عارفاً بصناعة الموسيقى، مع ديانة وعبادة، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة، وصلّي عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس، ثم صلي عليه بسوق الخيل، وحضر نائب السلطنة والأمراء والعامة، وقد غلقت الأسواق، ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل بالجُبّ من قلعة الجبل بمصر.

وفي أوائل المحرم منها أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير ابن سلار، والجاشنكير وامتنع من العلامة، وأغلق القلعة، وتحصن فيها، ولزم الأميران بيوتهما، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء، وحوصرت القلعة، وجرت خبطة عظيمة، وغلقت الأسواق ثم راسلوا السلطان، فتأطّدت الأمور، وسكنت الشرور على دخن، وتنافر قلوب، وقوي الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك، وركب السلطان، ووقع الصلح على دخن.

وفي المحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يحملوا ببلادهم طريقاً لعسكره، فامتنعوا من ذلك، فأرسل إليهم ملك التتر خربندا جيشا كثيفا ستين ألفا من المقاتلة،أربعين ألفا مع قطلوشاه، وعشرين ألفا مع جوبان، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسطوا بلادهم، ثم أرسلوا عليهم خليجا من البحر، ورموهم بالنفط، فغرق كثير منهم، واحترق آخرون، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة، فلم يفلت منهم إلا القليل، وكان فيمن قتل أمير التتر الكبير قطلوشاه، فاشتد غضب خربندا على أهل كيلان،ولكنه فرح بقتل قطلوشاه، فإنه كان يريد قتل خربندا ثم كف أمره عنهم،ثم قتل بعده بولاي، ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ برّاقاً الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان، يبلغهم عنه رسالة،فقتلوه وأراحوا الناس منه،وبلادهم من أحصن البلاد وأطيبها لا تستطاع، وهم أهل سنة، وأكثرهم حنابلة،لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم.

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين بن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل، وطال بينهما الكلام، ثم تفرقا قبل الصلاة، والشيخ تقي الدين بن تيمية مصمم على عدم الخروج من السجن.

فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه، وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه، فلما خرج أقسم عليه ليأتين معه إلى دار سلار، فاجتمع به بعض الفقهاء بدار سلار، وجرت بينهم بحوث كثيرة، ثم فرقت بينهم الصلاة، ثم اجتمعوا إلى المغرب، وبات الشيخ تقي الدين عند سلار، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار، ولم يحضر أحد من القضاة، بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير من كل يوم، منهم الفقيه نجم الدين بن رفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين التمراوي، وشمس الدين بن عَدْلان، وجماعة من الفقهاء، وطلبوا

القضاة فاعتذروا بأعذار، بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره، لمعرفتهم بما ابن تيمية منطو عليه من العلوم والأدلة، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه، فقبل عذرهم نائب السلطنة، ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة، وكان الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق، فأشار سلار بإقامة الشيخ مدّة بمصر عنده، ليرى الناس فضله وعلمه، ويتفعوا به ويشتغلوا عليه، وكتب الشيخ كتابا إلى الشام يتضمن ما وقع له من الأمور.

قال البرزالي: وفي شوال منها شكا الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقد له مجلس، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء، فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال إنه لا يستغاث إلا بالله، ولا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله فبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة، فقال القاضي قد قلت له ما يقال لمثله. ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الإسكندرية بشروطه أو الحبس، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ما شُرط، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبرا لخواطرهم، فركب خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال، ثم أرسلوا خلفه من الغد بريداً آخر، فردوه وحضر عند قاضي القضاة ابن جماعة، وعنده جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: إن الدولة ما ترضى إلا بالحبس، فقال القاضي وفيه مصلحة له واستناب شمس الدين التونسي المالكي، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال نور الدين الزواوي: يكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له: الدولة ما ترضى إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القضاة وأجلس في المكان الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز حين سُجن، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي ووجاهته في الدولة، فإنه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد، وغيره من الدولة والسلطان مقهور معه.

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى، ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس، ويكتب عليها بما يحبر العقول من الكتاب والسنة.

ثم عُقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهاراً.

وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكاني نظر ديوان المارستان عوضا عن يوسف العجمي توفي، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بستة أشهر، وكان العجمي مو صوفاً بالأمانة والكفاءة.

وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف، لكونها بدعة، وصين الجامع من الغوغاء والرعاع، وحصل بذلك خير كثير ولله الحمد والمنة.

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع بنظر الخزانة، عوضاً عن شمس الدين الحظيري، مضافا إلى ما بيده من الحسبة.

ووقع في أواخر رمضان مطر قوي شديد وكان الناس لهم مدة لم يمطروا، فاستبشروا بذلك ورخصت الأسعار، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر، فصلوا في الجامع، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمقصورة، وخرج المحمل، وأمير الحج عامئذ الأمير سيف الدين بلبان البدري التتري.

وفيها حج القاضي شرف الدين البارزي من حماة.

وفي ذي الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية. مبدؤه من الفرن تجاهها الذي يقال له فرن الصوفية، ثم لطف الله، وكف شرها وشررها.

قلت: وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد، وكان أول ما سكنا بدرب سقون الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطيوريّين، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير الكبير

■ **ركن الدين بيبرس: العجمي الصالحي**، المعروف بالجالق، كان رأس الجمدارية في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمرّه الملك الظاهر، كان من أكابر الدولة، كثير الأموال، توفي بالرملة، لأنه كان في قسم إقطاعه في نصف جمادى الأولى، ونقل إلى القدس فدفن به.

الشيخ

■ **صالح الأحمدي الرفاعي**: شيخ المنيبع، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق، ولما جاء قطلوشاه نائب التتر نزل عنده وهو الذي قال للشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر: نحن ما يَنْفَقُ حالنا إلا عند التتر، وأما عند الشرع فلا.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلما واستفتاء وغير ذلك.

وفي مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر، فأخرج من البرج، وأُسكن دار الأفرم بالقاهرة، ثم كانت وفاته في خامس رجب من هذه السنة.

وفي أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء الشريف زين الدين بن عدنان، عوضاً عن ابن الزملكاني، ثم أضيف إليه نظر الجامع أيضاً، عوضاً عن ابن الحظيري، وتولى نجم الدين الدمشقي نظر الأيتام، عوضاً عن نجم الدين بن هلال.

وفي رمضان عزل الصاحب أمين الدين بن الرّقاقي عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر.

وفيه عزل كمال الدين بن الشريشي نفسه عن وكالة بيت المال، وصمم على الاستمرار على العزل، وعرض عليه العود فلم يقبل، وحملت إليه الخلعة لما خلع على المباشرين فلم يلبسها، واستمر معزولا إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية، فجدد له تقليد وخلع عليه في الدولة الجديدة.

وفيها خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصدا الحج، وذلك في السادس والعشرين من رمضان، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردهم، ولما اجتاز إلى الكرك عدل إليها، فنصب له الجسر، فلما توسطه كسر به، فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فسلم، وسقط من كان وراءه، وكانوا خمسين فمات منهم أربعة وتهشم أكثرهم في الوادي الذي تحت الجسر، وبقي نائب الكرك الأمير جمال الدين آقوش خجلا، يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد، وكان قد عمل للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا فلم تقع الموقع لاشتغال السلطان بهمه وما جرى له ولأصحابه، ثم خلع على النائب وأذن له في الانصراف إلى مصر فسافر، واشتغل السلطان بتدبير المملكة في الكرك وحدها، وكان يحضر دار العدل ويباشر الأمور بنفسه، وقدمت عليه زوجته من مصر، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات.

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير

لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الإقامة بها كتب كتاباً إلى الديار المصرية، يتضمن عزل نفسه عن المملكة، فأثبت ذلك على القضاة بمصر، ثم نفذ على قضاة الشام، وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة، في الثالث والعشرين من شوال، يوم السبت بعد العصر، بدار الأمير سيف الدين سلار، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم، وبايعوه وخاطبوه بالملك المظفر، وركب إلى القلعة، ومشوا بين يديه، وجلس على سرير المملكة بالقلعة، ودقت البشائر، وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان.

وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادي إلى دمشق، فاجتمع بنائب السلطنة، والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الأبلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه، فأثبته القضاة، وامتنع الحنبلي من إثباته وقال: ليس أحد يترك الملك مختاراً، ولولا أنه مضطهد ما تركه، فعزل وأقيم غيره، ثم استحلفهم للسلطان الملك المظفر، وكتبت العلامة على القلعة، وألقابه عليها وعلى محال المملكة، ودقت البشائر، وزين البلد، ولما قرئ كتاب السلطان الملك الناصر على الأمراء بالقصر، وفيه: إني قد صحبت الناس عشر سنين، ثم اخترت المقام بالكرك، تباكى جماعة من الأمراء ثم بايعوا كالمكرهين، وتولى مكان بيبرس الأمير سيف الدين بُرُلغي، ومكان بُرُلغي سيف الدين بتخاص، ومكان بتخاص الأمير جمال الدين آقوش الذي كان نائب الكرك. وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة في تاسع عشر ذي القعدة، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضي محيي الدين بن فضل الله بالقصر، بحضرة الأمراء، وعليهم الخلع كلهم، وركب المظفر، بالخلعة السوداء الخليفتية، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع، يوم السبت سابع ذي القعدة، والصاحب ضياء الدين النشائي حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة في كيس أطلس أسود وأوله: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠]، ويقال إنه خلع في القاهرة قريب ألف خلعة ومائتي خلعة، وكان يوماً مشهوداً، وفرح بنفسه أياماً يسيرة،وكان شيخه المنبجي،ثم أزال الله عنهما نعمته سريعاً.

وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة، وباشر الشيخ علاء الدين القونوي تدريس الشريفية.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح

■ عثمان الحلبولي: أصله من صعيد مصر، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية، ومكث مدة لا يأكل الخبز، واجتمع عليه جماعة من المريدين، وتوفي بقرية برزة في أواخر المحرم، ودفن بها، وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان.

الشيخ الصالح أبو الحسن

■ علي بن محمد بن كثير الحراني الحنبلي: إمام مسجد عطية، ويعرف بابن المقرئ وروى الحديث، وكان فقيها بمدارس الحنابلة، ولد بحران سنة أربع وثلاثين وستمائة، وتوفي بدمشق في العشر الأخير من رمضان، ودفن بسفح قاسيون.

وتوفي قبله الشيخ

■ أمير الدين بن سعد الحراني بغزة، وعمل عزاؤه بدمشق، رحمهما الله.

■ السيد الشريف زين الدين أبو علي

■ الحسين بن محمد بن عدلان الحسيني، نقيب الأشراف: كان فاضلا، بارعاً، فصيحاً متكلماً، يعرف طريقة الاعتزال ويباحث الإمامية، ويناظر على ذلك بحضرة القضاة وغيرهم، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظر الجامع، ونظر ديوان الأفرم، توفي يوم الخامس من ذي القعدة، عن خمس وخمسين سنة، ودفن بتربتهم بباب الصغير.

الشيخ الجليل ظهير الدين: أبو عبد الله

■ محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة، وقد سمع الحديث، وأقام ببغداد مدة طويلة، ثم سار إلى مكة بعد موت عمه، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي بها.

ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة

استهلت وخليفة الوقت المستكفي أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلار، وبالشام آقوش الأفرم، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي ليلة سلخ صفر توجه الشيخ تقي الدين بن تيمية من القاهرة إلى الإسكندرية صحبة أمير مقدم، فأدخله دار السلطان، وأنزله في برج منها، فسيح متسع الأكناف، فكان الناس يدخلون عليه، ويشتغلون في سائر العلوم، ثم كان بعد ذلك يحضر الجمعات، ويعمل المواعيد على عادته في الجوامع، وكان دخوله إلى الإسكندرية يوم الأحد، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق، فحصل للناس عليه تألم، وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه نصر المنبجي، فتضاعف له الدعاء، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الإسكندرية، فضاقت له الصدور، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجي. وكان سبب عداوته له أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجي، ويقول: زالت

أيامه، وانتهت رياسته،وقرب انقضاء أجله، ويتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه، فأرادوا أن يسيروه إلى الإسكندرية كهيئة المنفي، لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة، فيستريحوا منه فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه، وقرباً منه، وانتفاعاً به، واشتغالاً عليه، وحنوّا وكرامة له، وجاء كتاب من أخيه يقول فيه: إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها، ويكيدون الإسلام وأهله، فكانت تلك كرامة في حقنا، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة، وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند عباده العارفين سود الوجوه، يتقطعون حسرات وندما على ما فعلوا، وانقلب أهل الثغر أجمعون إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له، وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين، وذلك شَجَى في حلوق الأعداء، واتفق أنه وجد بالإسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ، وأضل بها فريقي السبعينية والعربية، فمزق الله بقدومه عليهم شملهم، وشتت جموعهم شذر مذر، وهتك أستارهم وفضحهم، واستاب جماعة كثيرة منهم، وتوّب رئيساً من رؤسائهم، واستقرت عند عامة المؤمنين وخواصهم - من أمير وقاض وفقيه، ومُفتٍ وشيخ وجماعة المجتهدين، إلا من شذ من الأغمار الجهال، مع الذلة والصغار - محبةُ الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه، والرجوع إلى أمره ونهيه، فعَلَتْ كلمته بها على أعداء الله ورسوله، ولعنوا سراً وجهراً، وباطناً وظاهراً، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم، وصار بذلك عند نصر المنبجي المقيم المقعد، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه، وذكر كلاماً كثيراً.

والمقصود أن الشيخ تقي الدين أقام بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر، مقيما ببرج متسع مليح نظيف، له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة، فكان يدخل عليه من شاء، ويتردد إليه الأعيان والأكابر والأعيان والفقهاء، يقرؤون عليه، ويستفيدون منه، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر.

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عن نظر المارستان، بسبب انتمائه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجي، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الحظيري.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولي قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الإمام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد بن مسعود بن زين الدين الحارثي، شيخ الحديث بمصر، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحراني.

وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى نوّاب البلاد الساحلية بإبطال الخمور، وتخريب الحانات ونفي أهلها، ففعل ذلك، وفرح المسلمون بذلك فرحا شديداً.

وفي مستهل جمادى الآخرة وصل بريدي بتولية قضاء الحنابلة بدمشق للشيخ شهاب الدين أحمد بن شرف الدين حسن ابن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي، عوضا عن قاضي القضاة تقي سليمان بن حمزة، بسبب تكلمه في نزول الملك الناصر عن الملك، وأنه إنما نزل عنه مضطهدا في ذلك، ليس بمختار، وقد صدق فيما قال.

وفي العشرين من جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب، عوضا عن الرستمي فلم يقبل، وينظر الخزانة للأمير عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن القلانسي، فباشرها وعزل عنها البصراوي محتسب البلد.

وفي هذا الشهر باشر قاضي القضاة ابن جماعة مشيخة سعيد السعداء بالقاهرة بطلب الصوفية له، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الأمُلي، لأنه عزل منها الشهود، فثاروا عليه، وكتبوا في حقه محاضر بأشياء قادحة في الدين، فرسم بصرفه عنهم، وعومل بنظير ما كان يعامل به الناس، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الإسلام ابن تيمية، وافتراؤه عليه الكذب، مع جهله وقلة ورعه، فعجل الله له هذا الجزاء على يدي أصحابه وأصدقائه جزاء وفاقا.

وفي شهر رجب كثر الخوف بدمشق، وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك، وقد مالأه جماعة من الأمراء، وكاتبوه في الباطن وناصحوه، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين، وتحدث الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة، ليكون مع الجيش الغفير، فاضطرب الناس، ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار، وتخبطت الأمور، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر، وجددوا البيعة للملك المظفر.

وفي آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر، وازدحم الناس بباب النصر، وحصل لهم تعب عظيم، وازدحم البلد بأهل القرى، وكثر الناس بالبلد، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الخمان، فانزعج نائب الشام لذلك، وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد، وقفز إليه الأميران ركن الدين بيبرس المجنون، وبيبرس العلائي، وركب إليه الأمير سيف الدين بكتمر الحجاب، يشير عليه بالرجوع، ويخبره بأنه لا طاقة له بقتال المصريين، ولحقه الأمير سيف الدين بهادر أص يشير عليه بمثل ذلك، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب، وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى الكرك، فسكن الناس، ورجع نائب السلطنة إلى القصر، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم، واستقروا بها.

صفة عود الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون، وزوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلولي

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدوم الملك الناصر إلى دمشق، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلوبك، والحاج بهادر إلى الكرك، وحضّاه على ذلك واضطرب نائب دمشق وركب في جماعة من أتباعه على الهجن، في سادس عشر شعبان، ومعه ابن صبح إلى شقيف أرنون، وهيئت بدمشق أبهة السلطنة، والإقامات اللائقة به، والعصائب والكوسات، وركب من الكرك في أبهة عظيمة، وأرسل الأمان إلى الأفرم، ودعا له المؤذنون في المئذنة ليلة الاثنين، سابع عشر شعبان، فضج الناس له بالدعاء والسرور يذكره، ونودي في الناس بالأمان، وأن يفتحوا دكاكينهم ويأمنوا في أوطانهم، وشرع الناس في الزينة، ودقت البشائر، ونام الناس في الأسطحة ليلة الثلاثاء، ليتفرجوا على السلطان حين يدخل البلد، وخرج القضاة، والأمراء والأعيان لتلقيه وكان دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أبهة عظيمة، وبُسط له من عند المصلى إلى القلعة.

قال كاتبه ابن كثير: وكنت في مَن شاهد دخوله وعليه أبهة الملك، والبسط تحت أقدام فرسه، كلما جاوز شقة طويت من ورائه، والجتر على رأسه، والأمراء السلحدارية عن يمينه وشماله، وبين يديه، والناس يدعون له، ويضجون بذلك ضجيجاً عالياً، وكان يوماً مشهوداً.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء، وكلوتة حمراء، وكان الذي حمل الغاشية على رأسه يومئذ الحاج بهادر، وعليه خلعة معظمة مذهبة بفَرْو قاقُم، ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر، ونزل إليه نائبها الأمير سيف الدين السنجري، فقبل الأرض بين يديه، فأشار إليه أني الآن لا أنزل ههنا، وسار بفرسه إلى جهة القصر الأبلق، والأمراء بين يديه، فنزل بالقصر وخطب له يوم الجمعة.

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق مطيعاً للسلطان، فقبل الأرض بين يديه، فترجل له السلطان وأكرمه، وأذن له في مباشرة النيابة على عادته، وفرح الناس بطاعة الأفرم له، ثم وصل إليه الأمير سيف الدين قبجق نائب حماة، والأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من الشهر، وخرج الأمراء لتلقيهما، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأفرم.

وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الحنابلة، وعوده إلى تقي الدين سليمان وهنأه الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلّم عليه، ومضى إلى الجوزية فحكم بها ثلاثة أشهر، وأقيمت الجمعة الثانية بالميدان، وحضر السلطان والقضاة إلى جانبه، وأكابر الأمراء والدولة وكثير من العامة.

وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الأمير قراسنقر المنصوري نائب حلب، وخرج السلطان لتلقّيه أيضاً، ووصل جيش حلب يوم الأربعاء ثالث رمضان، وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان، ومعه القضاة والقراء وقت العصر، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضاً، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان، وفي صحبته ابن صَصْرَى، وصدر الدين الحنفي قاضي العساكر، والخطيب جلال الدين، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني، والموقعون، وديوان الجيش، وجيش الشام بكماله، قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بنوّابه وأمرائه، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أبهة عظيمة، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر آص وجماعة من أمراء المصريين، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من الملك، ثم تواتر قدوم الأمراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك، فطابت قلوب الشاميين واستبشروا بذلك، ودقت البشائر، وتأخر مجيء البريد بصورة ما جرى.

واتفق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالمقصاتي في السناجق إلى المصلى على العادة، واستناب في البلد الشيخ مجد الدين التونسي، فلما وصلوا إلى المصلى وجدوا خطيب المصلى قد شرع في الصلاة، فنصبت السناجق في صحن المصلى، وصلى بينهما تقي الدين المقصاتي ثم خطب، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى فعقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ، ولم يتفق مثل هذا فيما فعله.

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة، ورسم لسلار أن يسافر إلى الشوبك، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، الذي كان نائب صفد، وبالشام الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، وذلك في العشرين من شوال، واستوزر الصاحب فخر الدين الخليلي بعدها بيومين، وباشر القاضي فخر الدين كاتب المماليك نظر الجيوش بمصر، بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن علي المظفر بن الحلي، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار، وقد روى شيئا من الحديث، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخد، وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبغا رأس نوبة الجمدارية مشد الدواوين، وأستاذ دار الأستادارية، عوضا عن سيف الدين آقجبا، وتغيرت الدولة، وانقلبت قلبة عظيمة.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر، لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الإسكندرية معززا مكرما مبجلا، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر، وخرج مع الشيخ خلق من أهل الإسكندرية يودعونه، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه، وتلقاه ومشى إليه في مجلس حافل، فيه قضاة المصريين والشاميين، وأصلح بينه وبينهم، ثم نزل الشيخ إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند وجماعة كثيرة من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع منه، فقال أنا قد حاللْتُ كلَّ من آذاني.

قلت: وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس، وما وقع فيه من إكرام الشيخ تقي الدين حصل له من الشكر والمدح، من السلطان والحاضرين من الأمراء، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة صدر الدين الحنفي، ولكن إخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلا، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي العساكر، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول ما رآه، ومشى له إلى طرف الإيوان، واعتنقا هناك هنيهة، ثم أخذ بيده فذهب به إلى صفة فيها شباك إلى بستان، فجلسا ساعة يتحدثان، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر، وعن يساره ابن الخليلي الوزير، وتحته ابن صَصْرَى، ثم صدر الدين علي الحنفي، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته، وتكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم، وأنهم قد التزموا للديوان السلطاني بسبعمائة ألف في كل سنة، زيادة على الجالية، فسكت الناس، وكان فيهم قضاة مصر والشام، وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جملتهم ابن الزملكاني.

قال ابن القلانسي: وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة، فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فجثا الشيخ تقي الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ورد على الوزير ما قاله رداً عنيفاً، وجعل يرفع صوته، والسلطان يتلافاه ويسكته برفق وتودد وتوقير، وبالغ الشيخ في الكلام وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، وبالغ في التشنيع على من يوافق على ذلك. وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك، فذكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائبا لك، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك، وجرت فصول يطول ذكرها، وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين، وبعلمه ودينه وقيامه بالحق وشجاعته، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين

السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان، فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حَلُم عنهم السلطان وصفح.

قال: فكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة، وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه، ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه، ويجيبهم بالكتابة وبالقول، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال: لقد جعلت الكل في حل، وبعث الشيخ كتابا إلى أهله، يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير، ويطلب منهم جملة من كتب العلم التي له، ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي، فإنه يدري كيف يستخرج له ما يريده من الكتب التي أشار إليها، وقال في هذا الكتاب: والحق كل ما له في علو وازدياد وانتصار، والباطل في انخفاض وسفول واضمحلال، وقد أذل الله رقاب الخصوم، وطلب أكابرهم من السُّلَّم ما يطول وصفه، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الإسلام والسنة، وما فيه قمع الباطل، والبدعة، وقد دخلوا تحت ذلك كله، وامتنعنا من قبول ذلك منهم، حتى يظهر إلى الفعل، فلم نثق لهم بقول ولا عهد، ولم نجيبهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولا، والمذكور مفعولا، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم، وذكر كلاما طويلا يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وذلهم، وتركهم على ما هم عليه من الذلة والصغار، والله سبحانه أعلم.

وفي شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميراً.

وفي سادس عشر شوال، وقع بين أهل حوران من قيس ويمن فقتل منهم مقتلة عظيمة جداً، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء، وهم يسمونها يوم السويداء، ووقعة السويداء، وكانت الكسرة على يمن، فهربوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق في أسوأ حال وأضعفه، وهربت قيس خوفا من الدولة، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الأربعاء سادس ذي القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائبا على حلب، فنزل القصر ومعه جماعة من أمراء المصريين، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد.

واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهبا إلى نيابة طرابلس والفتوحات الساحلية، عوضا عن الأمير سيف الدين أسندمر، ووصل جماعة ممن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر في ذي القعدة، منهم قاضي قضاة الحنفية صدر الدين، ومحيي الدين بن فضل الله وغيرهما.

قلت: وجلست يوماً إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر فقال لي أتحب ابن تيمية؟ قلت: نعم، فقال لي وهو يضحك: والله لقد أحببت شيئا مليحا. وحكى قريبا مما ذكر ابن القلانسي، لكن سياق ابن القلانسي أتم.

ذكر مقتل الجاشنكير

كان قد فر الخيبث في جماعة من أصحابه، فلما خرج الأمير سيف الدين قراسنقر المنصوري من مصر متوجها إلى نيابة الشام عوضا عن الأفرم، فلما كان في غزة في سابع ذي القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد، فوقع في وسطها الجاشنكير في ثلاثمائة من أصحابه، فأحيط بهم، وتفرق عنه أصحابه، فأمسكوه ورجع معه قراسنقر وسيف الدين بهادر آص على الهجن، فلما كان بالخطارة تلقاهم أسندمر فتسلمه منهم، ورجعا إلى عسكرهم، ودخل به أسندمر على السلطان فعاتبه ولامه، وكان آخر العهد به، قتل ودفن بالقرافة ولم ينفعه شيخه المنبجي ولا أمواله، بل قتل شر قتلة، ودخل قراسنقر دمشق يوم الاثنين، الخامس والعشرين من ذي القعدة فنزل بالقصر، وكان في صحبته ابن صَصْرَى وابن الزملكاني وابن القلانسي، وعلاء الدين بن غانم، وخلق من الأمراء المصريين والشاميين، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قبلهم يوم الخميس، الثاني والعشرين من الشهر، وخطب يوم الجمعة على عادته.

فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر، خطب بجامع دمشق القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلي، عن أمر نائب السلطنة، وقرئ تقليده على المنبر بعد الصلاة، بحضرة القضاة والأكابر والأعيان، وخلع عليه عقيب ذلك خلعة سنية، واستمر يباشر الإمامة والخطابة اثنين وأربعين يوما، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني، وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الآتية.

وفي ذي الحجة درس كمال الدين بن الشيرازي بالمدرسة الشامية البرانية، انتزعها من يد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وذلك أن أسندمر ساعده على ذلك.

وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب ﷺ وولديه وأهل بيته، ولما وصل خطيب بلاد الأرّج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديداً، وبكى الناس معه، ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأتيم من أتمها عنه، وصلى بالناس، وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة، وكثرة الاختلاف.

وممن توفي فيها من الأعيان

■ (أحمد بن يحيى بن عز الدين بن عبد السلام).

الخطيب ناصر الدين أبو الهدى: أحمد ابن الخطيب بدر الدين يحيى ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، خطيب العقيبة بداره بها، وقد باشر ناظر الجامع الأموي وغير ذلك، توفي يوم الأربعاء النصف من المحرم وصلي عليه بجامع العقيبة، ودفن عند والده بباب الصغير، وقد روى الحديث، وباشر الخطابة بعده ولده بدر الدين، وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان.

قاضي الحنابلة بمصر: شرف الدين أبو محمد

■ عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحراني: ولد بحران، سنة خمس وأربعين وستمائة، وسمع الحديث، وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدريس الصالحية، ثم أضيف إليه القضاء، وكان مشكور السيرة، كثير المكارم، توفي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول، دفن بالقرافة، وولي بعده سعد الدين الحارثي كما تقدم.

الشيخ نجم الدين:

■ أيوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بمؤذن النجيبي، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق، ونقيب الخطباء، وكان حسن الشكل، رفيع الصوت، استمر في ذلك نحوا من خمسين سنة، إلى أن توفي في مستهل جمادى الأولى.

وفي هذا الشهر توفي:

الأمير شمس الدين

■ سنقر الأعسر المنصوري: تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معا، وباشر شد الدواوين بالشام مرات، وله دار وبستان بدمشق مشهوران به، وكان فيه نهضة، وله همة عالية، وأموال كثيرة، توفي بمصر.

الأمير جمال الدين

■ آقوش بن عبد الله الرستمي: شاد الدواوين بدمشق، وكان قبل ذلك والي الولاة بالصفقة القبلية بعد الشريفي، وكانت له سطوة، توفي يوم الأحد ثاني وعشرين جمادى الأولى، ودفن ضحوة بالقبة التي بناها تجاه قبة الشيخ رسلان، وكان فيه كفاية وخبرة، وإنما وليّ الشدّ بدمشق مدة يسيرة وباشر بعده شد الدواوين أقبجا.

وفي شعبان أو في رجب توفي

التاج

■ ابن سعيد الدولة: وكان مُسلمانيا، وكان مشير الدولة، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحبته لنصر المنبجي شيخ الجاشنكير، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل، ولما توفي تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير.

الشيخ شهاب الدين:

■ أحمد بن محمد بن أبي المكارم بن نصر الأصبهاني: رئيس المؤذنين بالجامع الأموي، ولد سنة ثنتين وستمائة، وسمع الحديث، وباشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين، إلى أن توفي ليلة الثلاثاء، خامس ذي القعدة، ودفن بباب الصغير، وكان رجلا جيداً، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة

استهلت وخليفة الوقت المستكفي بالله أبو الربيع سليمان العباسي، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون، والشيخ تقي الدين بن تيمية مقيم بمصر معظما مكرما، والنائب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وقضاته هم المذكورون في التي قبلها، سوى الحنبلي فإنه سعد الحارثي، والوزير بمصر فخر الدين بن الخليلي، وناظر الجيوش فخر الدين كاتب المماليك، ونائب الشام قراسنقر المنصوري، وقضاة دمشق هم هم، ونائب حلب قبجق، ونائب طرابلس الحاج بهادر، والأفرم بصرخد.

وفي محرم منها باشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر وكيل بيت المال إمام مسجد ابن هشام تدريس الشامية الجوانية، والشيخ صدر الدين سليمان بن موسى الكردي تدريس العذراوية، كلاهما انتزعها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصر، وكان قد وفد إلى المظفر، فأكرمه ورتب له رواتب لانتمائه إلى نصر المنبجي، ثم عاد بتوقيع سلطاني بمدرسته، فأقام بهما شهرا أو سبعة وعشرين يوماً، ثم استعادهما منه، ورجعتا إلى المدرسين الأولين: الأمين سالم، والصدر الكردي،ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر المحرم، وعزل عنها البدر بن الحداد، وباشر الصاحب شمس الدين نظر الجامع، والأسرى، والأوقاف قاطبة يوم الاثنين، وخلع عليه، ثم أضيف إليه شرف الدين بن صَصْرَى في نظر الجامع، وكان ناظره مستقلا به قبلهما.

وفي يوم عاشوراء قدم أسندمر إلى دمشق متوليا نيابة حماة، وسافر إليها بعد سبعة أيام.

وفي المحرم باشر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان، عوضاً عن شمس الدين بن الحظيري، ووقعت منازعة بين صدر الدين بن الوكيل وبين الصدر سليمان الكردي، بسبب العذراوية، وكتبوا في ابن الوكيل محضراً يتضمن أشياء من القبائح والفضائح والكفريات على ابن الوكيل، فبادر ابن الوكيل إلى القاضي تقي الدين بن سليمان الحنبلي، فحكم بإسلامه، وحقن دمه، وحكم بإسقاط التعزير عنه، والحكم بعدالته واستحقاقه للمناصب، وأشهد عليه بذلك في شهر المحرم المذكور ، وكانت هذه هفوة من الحنبلي، ولكن خرجت عنه المدرستان العذراوية لسليمان الكردي، والشامية الجوانية للأمين سالم، ولم يبق معه سوى دار الحديث الأشرفية.

وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصراوي من مصر متوليا الوزارة بالشام، ومعه توقيع، بالحسبة لأخيه فخر الدين سليمان، فباشرا المنصبين المذكورين بالخلع، ونزلا بدرب سقون الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء، ثم انتقل الوزير إلى دار الأعسر عند باب البريد، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلانسي أخي الشيخ جلال الدين.

وفي مستهل ربيع الأول باشر القاضي جمال الدين الزرعي قضاء القضاة بمصر، عوضا عن بدر الدين بن جماعة، وكان قد أخذ منه قبل ذلك مشيخة الشيوخ في ذي الحجة، وأعيدت إلى الكريم الآملي، وأخذت منه الخطابة أيضاً، وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضي شمس الدين بن الحريري لقضاء الديار المصرية، فسار في العشرين من ربيع الأول، وخرج معه جماعة لتوديعه، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه، وولاه قضاء الحنفية، وتدريس الناصرية والصالحية، وجامع الحاكم، وعزل عن ذلك القاضي شمس الدين السروجي، فمكث أياما ثم مات.

وفي نصف هذا الشهر مُسِك من دمشق سبعة أمراء، ومن القاهرة اربعة عشر أميراً.

وفي ربيع الآخر اهتم السلطان بطلب الأمير سيف الدين سلار، فحضر هو بنفسه إليه فعاتبه، ثم استخلص منه أمواله وحواصله في مدة شهر، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحيوان والأملاك والأسلحة والمماليك والبغال والحمير أيضا والرباع شيئا كثيرا، وأما الجواهر والذهب والفضة فشيء لا يحد ولا يوصف في كثرته، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال، وأموال المسلمين تجري إليه، ويقال إنه كان مع هذا كثير العطاء كريما، محببا إلى الدولة والرعية والله أعلم.

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر، ودفن بتربته ليلة الخميس بالقرافة، سامحه

الله.

وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي بالظاهرية، عوضاً عن شمس الدين الحريري، وحضر عنده خاله الصدر على قاضي قضاة الحنفية، وبقية القضاة والأعيان.

وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين أسندمر قد قدم دمشق لبعض أشغاله، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدريس العذراوية، فلم يباشر ذلك حتى سافر أسندمر، فاتفق أنه وقعت له بعد يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية، من الحنابلة وغيرهم وذكر أنه وجد عنده شيء من المنكرات، واجتمع عليه جماعة من أهل الصالحية مع الحنابلة وغيرهم، وبلغ ذلك نائب السلطنة فكاتب فيه، فورد الجواب بعزله عن المناصب الدينية، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقي بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك، فلما كان في آخر رمضان سافر إلى حلب، فقرر له نائبها أسندمر شيئاً على الجامع، ثم ولاه تدريسا هناك وأحسن إليه، وكان الأمير أسندمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جمادى الآخرة، عوضاً عن سيف الدين قبجق توفي، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل علي بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الحاج بهادر.

وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية، عوضاً عن ابن الوكيل، وأخذ في التفسير والحديث والفقه، فذكر من ذلك دروسا حسنة، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً، حتى انتزعها منه كمال الدين ابن الشريشي، فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضان.

وفي شعبان رسم قراسنقر نائب الشام بتوسعة المقصورة، فأخرت سدة المؤذنين الركنين المؤخرين تحت قبة النسر، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً، ثم أذن في دخولهم.

وفي خامس رمضان قدم فخر الدين إياس الذي كان نائبا بقلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين، عوضاً عن زين الدين كتبغا المنصوري وولي بعده وزارة مصر الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب عوضاً عن فخر الدين ابن الخليلي.

وخرج الركب الشامي في شوال وأميرهم الأمير زين الدين كتبغا المنصوري الذي كان شاد الدواوين.

وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي مشيخة الشيوخ بالديار المصرية، عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الآملي توفي، وكان له تجريد وله همة، وخلع على القونوي خلعة سنية، وحضر سعيد السعداء بها.

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة خلع على الصاحب عز الدين بن القلانسي خلعة الوزاره بالشام، عوضاً عن النجم البصراوي، بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر ذي القعدة عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدريس الشامية البرانية، وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن الصاحب شمس الدين بن السلعوس خلعة النظر على الجامع الأموي، ومسك الأمير سيف الدين أسندمر نائب حلب في ثاني ذي الحجة، وحُمل إلى مصر، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضوغان بعده بليال.

ومن توفي فيها من الأعيان

قاضي القضاة الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس:

■ **أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي**، شارح الهداية، كان بارعاً في علوم شتى، وولي الحكم بمصر مدة، وعزل قبل موته بأيام، توفي يوم الخميس، ثاني عشرين ربيع الآخر ودفن بالقرب من الشافعي، وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام، أضحك فيها على نفسه، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات، وأبطل حججه.

وفيها توفي

■ **سلار** مقتولا كما تقدم.

■ **(ابن الرقاقي).**

والصاحب أمين الدين أبو بكر ابن الوجيه عبد العظيم بن يوسف: المعروف بابن الرقاقي.

والحاج

■ **بهادر** نائب طرابلس مات بها.

والأمير سيف الدين

■ **قبجق:** نائب حلب مات بها ، ودفن بتربته بحماة، في ثاني جمادى الآخرة، وكان شهما شجاعاً، وقد ولي نيابة دمشق في أيام لاجين، ثم قفز إلى التتر خوفا من لاجين، ثم جاء مع التتر، وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب، ثم وليها بعده أسندمر، ومات أيضا في آخر السنة.

وفيها توفي:

الشيخ كريم الدين أبو القاسم

■ **عبد الكريم بن الحسين الآملي:** شيخ الشيوخ بمصر، كان له وُصلة بالأمراء، وقد عزل مرة عن المشيخة بابن جماعة، توفي ليلة السبت سابع شوال، بخانقاه سعيد السعداء، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم.

الفقيه عز الدين

■ **عبد العزيز بن عبد الجليل: النمراوي الشافعي**، كان فاضلا بارعاً، وقد صحب سلار نائب مصر، وارتفع في الدنيا بسببه.

■ **ابن الرفعة:** هو الإمام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبيه، وله غير ذلك، وكان فقيها فاضلا، وإماما في علوم كثيرة، رحمهم الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، غير الوزير بمصر فإنه عزل، وولي سيف الدين بكتمر ووزير دمشق النجم البصراوي عزل أيضاً بعز الدين القلانسي، وقد انتقل الأفرم إلى نيابة طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل على قاعدة أسلافه فيها، وقد مات نائب حلب أسندمر، وهي شاغرة عن نائب، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتسفير قراسنقر منها إلى نيابة حلب، وإحضار سيف الدين كراي إلى نيابة دمشق، وغالب العساكر بحلب، والأعراب محدقة بأطراف البلاد، فخرج قراسنقر المنصوري من دمشق في ثالث المحرم، بجميع حواصله وحاشيته وأتباعه. وخرج الجيش

لتوديعه، وسار معه أرغون لتقريره بحلب، وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجري أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيها نائب، فحضر عنده الوزير والموقعون، وباشر النيابة، وقويت شوكته، وقويت شوكة الوزير إلى أن ولي ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرى، واستمر في يده، وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين كراي المنصوري إلى دمشق نائبا عليها، في يوم الخميس الحادي عشرين من المحرم خرج الناس لتلقيه، وأوقدوا الشموع، وأعيدت المقصورة إلى مكانها يوم الأحد رابع عشرين المحرم، وانفرج الناس، ولبس النجم البصراوي خلعة الإمرة يوم الخميس، ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة، وركب مع المقدمين الكبار، وهو أمير عشرة بإقطاع يضاهي إقطاع كبار الطبلخاناه.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الأربعة بالجامع لإنفاذ أمر الشهود، بسبب تزوير وقع من بعضهم، فاطلع عليه نائب السلطنة فغضب وأمر بذلك، فلم يكن منه كبير شيء ولم يتغير حال.

وفي هذا اليوم ولي الشريف نقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن عدنان نظر الدواوين، عوضاً عن شهاب الدين بن الواسطي، وأعيد تقي الدين بن الزكي إلى مشيخة الشيوخ.

وفي هذا الشهر ولي ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة، وضياء الدين النشائي تدريس الشافعي، والميعاد العام بجامع طولون، ونظر الأحباس أيضا.

وولي الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحاجب في ربيع الآخر.

وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين بن القلانسي بدمشق، ورسم عليه مدة شهرين، وكان نائب السلطنة كثير الحنق عليه، ثم أفرج عنه، وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر، في حادي عشرين ربيع الآخر، مع تدريس دار الحديث الكاملية، وجامع طولون والصالحية والناصرية، وحصل له إقبال كثير من السلطان، واستقر جمال الدين الزرعي على قضاء العسكر، وتدريس جامع الحاكم، ورسم له أن يجلس مع القضاة، بين الحنفي والحنبلي بدار العدل عند السلطان.

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضي نجم الدين الدمشقي نائب ابن صَصْرَى على نفسه، بالحكم ببطلان البيع في الملك الذي اشتراه عز الدين بن القلانسي من تركة المنصوري في الرملة والتوجة والفضالية، لكونه بدون ثمن المثل، ونفذه بقية الحكام، وأحضر ابن القلانسي إلى دار السعادة، وادعى عليه بريع ذلك، ورسم عليه بها، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع، وبنقض ما حكم به الدمشقي، ثم نفذ بقية الحكام ما حكم به الحنبلي.

وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم، وضربت على الأملاك والأوقاف، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيماً، وسعوا إلى الخطيب جلال الدين فسعى إلى القضاة، واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر، واحتفلوا في الاجتماع، وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثر النبوي والسناجق الخليفية، ووقفوا في الموكب، فلما رآهم كراي تغيظ عليهم، وشتم القاضي والخطيب، وضرب مجد الدين التونسي ورسم عليهم، ثم أطلقهم بضمان وكفالة، فتألم الناس من ذلك كثيراً، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام، فجاءه الأمر فجأة فعزل وحبس، ففرح الناس بذلك فرحا شديداً، ويقال إن الشيخ تقي الدين لما بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام، فأخبر السلطان بذلك، فبعث من فوره فمسكه شر مسكة، وصفة مسكه أن قدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار فنزل القصر.

فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراي خلعة سنية، فلبسها وقبل العتبة، وحضر الموكب ومد السماط، فقيد بحضرة الأمراء، وحمل على البريد إلى الكرك صحبة غرلو العادلي، وبيبرس المجنون، وخرج عز الدين بن القلانسي من الترسيم من دار السعادة، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره، وقد أوقدت له الشموع، ودعا له الناس، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية، فجلس فيها نحوا من عشرين يوماً، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك.

وفي هذا الشهر مسك نائب صفد الأمير سيف الدين قطلوبك وقيد وحمل إلى الكرك أيضا ومسك نائب مصر سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري، ومسك نائب غزة، وعوض عنه بالجاولي، فاجتمع في حبس الكرك أسندمر نائب حلب، وبكتمر نائب مصر، وكراي نائب دمشق، وقطلوبك نائب صفد، وقطلقتمر نائب غزة وبتخاص، وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذي يقال له: نائب الكرك على نيابة دمشق إليها، في يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الآخر، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع، وفي صحبته الحظيري ليقرّره في النيابة، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وستمائة إلى سنة تسع وسبعمائة، وله بها آثار حسنة، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقي النائب، وقرئ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة، بحضرة النائب والقضاة والأعيان وفيه الأمر بالإحسان إلى الرعية، وإطلاق البواقي التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراي، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس.

وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادر آص بنيابة صفد، فقبل العتبة، وسار إليها يوم الثلاثاء، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبي الفوارس خلعة نظر الدواوين بدمشق، مشاركا للشريف بن عدنان، وبعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي بوكالة السلطان على ما كان عليه، وأنه أعفي عن الوزارة لكراهته ذلك.

وفي رجب باشر تقي الدين بن السلعوس نظر الأوقاف، عوضاً عن شمس الدين غبريال.

وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون، فأطلق المحبوسين بنفسه، فتضاعفت له الأدعية في الأسواق وغيرها، وفي هذا اليوم قدم الصاحب عز الدين بن القلانسي من مصر، فاجتمع بالنائب، وخلع عليه، ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه، واستمراره على وكالة السلطان، ونظر الخاص، والإنكار لما ثبت عليه بدمشق، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخاص السلطاني، وأمير سيف الدين أرغون الدوادار.

وفي شعبان منع ابن صَصْرَى الشهود والعقاد من جهته، وامتنع غيرهم أيضاً، وردهم المالكي.

وفي رمضان جاء البريد بتوليه زين الدين كتبغا المنصوري حجوبية الحجاب، والأمير بدر الدين بكتوت القرماني شد الدواوين، عوضاً عن طوغان، وخلع عليهما معاً.

وفيها ركب بهادر السنجري نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر، وتولاها سيف الدين بلبان البدري، ثم عاد السنجري في آخر الشهر على نيابة البيرة، فسار إليها، وجاء الخبر في آخر رمضان أنه قد احتيط على

جماعة من قضاة المسلمين ببغداد، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدر، وتخلص عبيدة وجاء سالماً.

وخرج المحمل في شوال، وأمير الحاج الأمير علاء الدين طيغا أخو بهادر آص.

وفي آخر ذي القعدة جاء الخبر بأن الأمير قراسنقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيزاء، وأنه لحق بمهنا بن عيسى فاستجار به خائفاً على نفسه، ومعه جماعة من خواصه، ثم سار من هناك إلى التتر بعد ذلك كله، وصحبه الأفرم والزردكاش.

وفي العشرين من ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق، ثم توجهوا إلى ناحية حمص، وتلك النواحي.

وفي سابع ذي الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر مستمرا على وكالة بيت المال، ومعه توقيع بقضاء العسكر الشامي، وخلع عليه في يوم عرفة.

وفي هذا اليوم وصل ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين قلّمي من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية.

وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشغري الشريف من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيوخ، فنزل في الخانقاه، وباشرها بحضرة القضاة والأعيان، وانفصل ابن الزكي عنها.

وفيها باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابه السر بمصر، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله إلى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن أخيه محيي الدين، واستمر محيي الدين على كتابة الدست بمعلومه أيضاً والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (محمد بن إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري).

الشيخ الرئيس بدر الدين: محمد ابن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري، من سلالة سعد بن معاذ السويدي، من سويداء حوران، سمع الحديث، وبرع في الطب، توفي في ربيع الأول ببستانه بقرب الشبلية، ودفن في تربة له في قبة فيها، عن سبعين سنة.

■ (شعبان بن أبي بكر محمد بن عمر الإربلي)

الشيخ شعبان بن أبي بكر محمد بن عمر الإربلي: شيخ الحلبية بجامع، بني أمية، كان صالحا مباركاً، فيه خير كثير، كان كثير العبادة، وإيجاد الراحة للفقراء، وكانت جنازته حافلة جداً، صلي عليه بالجامع، بعد ظهر يوم السبت، تاسع عشرين رجب، ودفن بالصوفية، وله سبع وثمانون سنة، وروى شيئاً من الحديث، وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله.

وقبله بيوم توفي الشيخ

■ العريان،

ونائب إسكندرية

■بكتوت أمير شكار.

الشيخ ناصر الدين

■ يحيى بن إبراهيم ابن محمد بن عبد العزيز العثماني، خادم المصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة، وصلي عليه بعد الجمعة، رابع رمضان، ودفن بالصوفية، وكان لنائب السلطنة الأفرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد، وبلغ خمسا وستين سنة.

■ (محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأرموي).

الشيخ الصالح الجليل القدوة: أبو عبد الله محمد ابن الشيخ القدوة إبراهيم ابن الشيخ عبد الله الأرموي، توفي في العشرين من رمضان، بسفح قاسيون، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته، وصلي عليه بالجامع المظفري، ثم دفن عند والده، وغلق يومئذ سوق الصالحية، وكانت له وجاهة عند الناس، وشفاعة مقبولة، وكان عنده فضيلة، وفيه تودد وجمع أجزاء في أخبار جيدة، وسمع الحديث، وقارب السبعين رحمه الله.

■ ابن الوحيد الكاتب: هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعي، المعروف بابن الوحيد، كان موقعا بالقاهرة، وله معرفة بالإنشاء، وبلغ الغاية في الكتابة في زمانه، وانتفع الناس به، وكان فاضلا، مقداماً شجاعاً توفي بالمارستان المنصوري بمصر، يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان.

■ (محمد بن حسن بن النسائي)

الأمير ناصر الدين: محمد بن عماد الدين حسن بن النسائي، أحد أمراء الطبلخاناه، وهو حاكم البندق ولي ذلك بعد سيف الدين بلبان، توفي في العشر الأواخر من رمضان.

■ التميمي الداري: توفي يوم عيد الفطر، ودفن بالقرافة الصغرى، وقد ولي الوزارة بمصر، وكان خبيرا كافيا، مات معزولا، وقد سمع الحديث، وسمع عليه بعض الطلبة.

وفي ذي القعدة جاء الخبر إلى دمشق **بوفاة الأمير الكبير أسندمر** وبتخاص في السجن، بقلعة الكرك.

■ القاضي الإمام العلامة الحافظ: سعد الدين

■ مسعود الحارثي الحنبلي، الحاكم بمصر، سمع الحديث، وجمع وخرج وصنف،وكانت له يد طولى في هذه الصناعة في الأسانيد والمتون، وشرح قطعة من سنن أبي داود، فأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاد، رحمه الله تعالى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي خامس المحرم توجه الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش وأميران معه إلى الأفرم، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند مهنا، وكاتبوا السلطان، ثم ساروا نحو التتار فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، وجاء البريد في صفر بالاحتياط على حواصل الأفرم، وقراسنقر، والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم، وقطع خبز مهنا، وجعل مكانه في الإمرة أخاه محمداً، وعادت العساكر صحبة أرغون من البلاد الشمالية، وقد حصل للناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن، وقدم سودي من مصر على نيابة حلب، فاجتاز بدمشق، فخرج النائب والجيش لتلقيه، وحضر السماط، وقرئ مرسوم السلطان بطلب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر، فركب من ساعته على البريد إلى مصر، وتكلم في نيابة الغيبة قراالاجين.

وطلب في هذا اليوم قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ناظر الجيش إلى مصر، فركب في آخر النهار، وسار إليها فتولى بها نظر الجيش، عوضاً عن فخر الدين الكاتب، كاتب المماليك بحكم عزله، ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه، في عاشر ربيع الأول.

وفي الحادي عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي تقي الدين

أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد، أول قضاة الحنابلة، وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس، عوضاً عن الأفرم، بحكم هربه إلى التتر.

وفي ربيع الآخر مسك بيبرس العلائي نائب حمص، وبيبرس المجنون، وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء ستة في نهار واحد، وسيروا إلى الكرك معتقلين بها.

وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري، وولي بعده أرغون الدوادار، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك، وشمس الدين سنقر الكمالي، حاجب الحجاب بمصر، وخمسة أمراء آخرون، وحبسوا كلهم بقلعة الكرك، في برج هناك.

وفيه وقع حريق داخل باب السلامة، احترق فيه دور كثيرة، منها دار ابن أبي الفوارس، ودار الشريف القباني.

نيابة تنكز على الشام

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله المالكي الناصري نائباً على دمشق، بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من مماليك السلطان، منهم الحاج أرقطاي على خُبْز بيبرس العلائي، وخرج الناس لتلقيه، وفرحوا به كثيرا، ونزل بدار السعادة، ووقع عند قدومه مطر عظيم، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة، وأشعلت له الشموع في طريقه، وجاء توقيع لابن صَصْرَى بإعادة قضاء العسكر إليه، وأن ينظر الأوقاف، فلا يشاركه أحد في الاستنابة في البلاد الشامية، على عادة من تقدمه من قضاة الشافعية.

وجاء مرسوم لشمس الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش، عوضاً عن ابن شيخ السلامية بحكم إقامته بمصر، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش، وجعل ابن حميد في وظيفة ابن البدر، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس، وتولى أرغون نيابة مصر، وعاد فخر الدين كاتب المماليك إلى وظيفته، مع استمرار قطب الدين ابن شيخ السلامية أيضا مباشراً معه.

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محاضر، تتضمن استهانته بالمصحف، وأنه يتكلم في أهل العلم، فأحضر إلى دار العدل، فاستسلم وحقن دمه، وعزر تعزيرا بليغا عنيفا، وطيف به في البلد باطنه وظاهره، وهو مكشوف الرأس ووجهه مقلوب، وظهره مضروب، ينادى عليه هذا جزاء من يتكلم في العلم بغير معرفة، ثم حبس، وأطلق فهرب إلى القاهرة، ثم عاد على البريد في شعبان، ورجع إلى ما كان عليه.

وفيه قدم بهادر آص من نيابة صفد إلى دمشق، وهنأه الناس.

وفيه قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد بمال ولا برشوة، فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل، فقرأه ابن الزملكاني على السدة، وبلغه عنه ابن صُبيح المؤذن، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله.

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق، بسبب أن التتر قد تحركوا للمجيء إلى الشام، فانزعج الناس من ذلك وخافوا، وتحول كثير منهم إلى البلد، وازدحموا في الأبواب وذلك في شهر رمضان، وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك بإشارة قراسنقر وذويه فالله أعلم.

وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لا يجب أحد عليه، بل يُتْبع القاتل حتى يقتص منه بمقتضى حكم الشرع الشريف، فقرأه ابن الزملكاني على السدة، بحضرة نائب السلطنة تنكز وسببه ابن تيمية هو أمر بذلك وبالكتاب الأول قبله.

وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة، فحاصروها عشرين يوماً، وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزكشي خمسة أيام قتالا عظيماً، ومنعهم منها، فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا، ويهدوا له هدية، ويطلبوا منه العفو، فنزل القاضي نجم الدين إسحاق وجماعة، وأهدوا له خمسة رؤوس خيل، وعشرة أبالبق سكر، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلوا منها وخرب أكثرها، ثم رجعوا إليها لما تحققوا رجوع التتر عن الرحبة، وطابت الأخبار، وسكنت النفوس، ودقت البشائر، وتركت الأئمة القنوت، وخطب الخطيب يوم العيد، وذكر الناس بهذه النعمة، وكان سبب رجوع التتر قلة العلف، وغلاء الأسعار، وموت كثير منهم، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان.

وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق، بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقاة التتر، وخرج الركب في نصف شوال، وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير، الذي كان والي البر، وقدمت العساكر المنصورة المصرية أرسالا، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، واحتفل الناس لدخوله، فنزل بالقلعة، وقد زين البلد، وضربت البشائر، ثم انتقل بعد ليلتئذ إلى القصر، وصلى الجمعة بالجامع بالمقصورة، وخلع على الخطيب، وجلس في دار العدل يوم الاثنين، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء عشرين الشهر.

وقدم صحبة السلطان الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية إلى دمشق، يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين كوامل، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسروا بقدومه وعافيته ورؤيته، واستبشروا به حتى خرج خلق من النساء أيضاً لرؤيته، وقد كان السلطان صحبه معه من مصر، فخرج معه بنية الغزاة، فلما تحقق عدم الغزاة وأن التتر قد رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة، وزار القدس وأقام به أياما، ثم سافر على عجلون وبلاد السواد وزُرع، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى الحجاز الشريف في أربعين أميرا من خواصه وجماعته يوم الخميس ثاني ذي القعدة.

ثم إن الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً، لاشتغال الناس في سائر العلوم، ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة، والاجتهاد في الأحكام الشرعية، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والسلف.

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام، وترك أرغون بدمشق.

وفي يوم الجمعة لبس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني خلعة وكالة

بيت المال، عوضاً عن ابن الشريشي، وحضر بها الشباك، وتكلم الوزير أمين الملك في البلد، وطلب من الناس أموالا كثيرة، وصادر وضرب بالمقارع، وأهان جماعة من الرؤساء، منهم الصدر محيي الدين بن فضل الله، وفيه عين الشيخ شهاب الدين بن جهبل لتدريس الصلاحية بالقدس، عوضاً عن نجم الدين داود الكردي توفي، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة، فسافر ابن جهبل إلى القدس، بعد عيد الأضحى.

وفيها مات ملك دَشْت القفجاق المسمى طقطاي خان، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة، وكان عمره يوم مات ثلاثين سنة، وكان شهما شجاعاً، على دين التتر في عبادة الأصنام والكواكب، يعظم المجسمة والحكماء والأطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف، وكان جيشه هائلا لا يجسر أحد على قتاله لكثرة جيشه، وقوتهم وعددهم وعددهم، ويقال إنه جرد مرة تجريدة من كل عشرة من جيشه واحداً، فبلغت التجريدة مائتي ألف وخمسين ألفاً.

توفي في رمضان منها، وقام في الملك من بعده ابن أخيه أزبك خان، وكان مسلما، فأظهر دين الإسلام ببلاده، وقتل خلقاً من أمراء الكفر، وعلت الشريعة المحمدية على سائر الشرائع هناك، ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ **المنصور صاحب ماردين:** وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر، قرا أرسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي ابن الملك المنصور ناصر الدين أرتق بن غازي بن ألبي بن تمرتاش بن غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردين من عدة سنين، كان شيخا حسنا مهيباً، كامل الخلقة، بدينا سمينا، إذا ركب يكون خلفه محفة، خوفا من أن يمسه لغوب فيركب فيها.

توفي في تاسع ربيع الآخر، ودفن بمدرسته تحت القلعة وقد بلغ من العمر فوق السبعين، ومكث في الملك قريبا من عشرين سنة، وقام من بعده في الملك ولده العادل علي، فمكث سبعة عشر يوماً، ثم ملك أخوه الصالح بن المنصور.

وفيها مات:

الأمير سيف الدين

■ **قطلوبك الشيخي:** كان من أمراء دمشق الكبار.

الشيخ الصالح: نور الدين أبو الحسن

■ **علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الخلعي الدمشقي،** قارئ الحديث بالقاهرة، ومسندها، روى عن ابن الزبيد، وابن اللَّتِّي، وجعفر الهمداني، وابن الشيرازي وخلق، وقد خرج له الإمام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة، وكان رجلا صالحا، توفي بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر، وكانت جنازته هائلة حافلة.

الأمير الكبير الملك

■ **المظفر: شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم،** سمع الحديث، وكان رجلا متواضعاً، توفي بمصر ثاني عشر رجب، ودفن بالقاهرة.

قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله

■ **محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي الحنفي:** كان بارعاً فاضلا درس وأفتى، وولي قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبلية مدة، ثم سافر إلى مصر، فأقام بسعيد السعداء خمسة أيام، وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشرين رجب فالله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم هم، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد، وقد قدم الأمير سيف الدين قجليس يوم السبت، مستهل المحرم من الحجاز، وأخبر بسلامة السلطان، وأنه فارقه من المدينة النبوية، وأنه قد قارب البلاد، فدقت البشائر فرحا بسلامة، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني المحرم يوم الأحد.

فلما كان يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على العادة، وقد رأيته مرجعه من هذه الحجة على شفته ورقة قد ألصقها عليها، فنزل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمقصورة الخطابة، وكذلك الجمعة التي تليها، ولعب في الميدان بالكرة يوم السبت النصف من المحرم، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الأحد سادس عشر المحرم وشد الدواوين لفخر الدين إياس الأعسر عوضا عن القرماني، وسافر القرماني إلى نيابة الرحبة وخلع عليهما وعلى وزيره، وخلع على ابن صَصْرَى وعلى الفخر كاتب المماليك، وكان مع السلطان في الحج، وولي شرف الدين بن صَصْرَى حجابة الديوان وباشر فخر الدين ابن شيخ السلامية نظر الجامع وباشر بهاء الدين بن عليمة نظر الأوقاف، والمنكورسي شد الأوقاف فتوجه السلطان راجعا إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه.

وفي أواخر صفر اجتاز على البريد في الرسلية إلى مهنا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل وموسى بن مهنا والأمير علاء الدين الطنبغا فاجتمعوا به في تدمر ثم عاد الطنبغا وابن الوكيل إلى القاهرة ثم عاد صدر الدين إلى مهنا ورجع من عنده في رجب إلى القاهرة.

وفي أواخر جمادى الآخرة مسك أمين الملك وجماعة من الكتاب معه وصودروا بأموال كثيرة وأقيم عوضه بدر الدين بن التركماني الذي كان والي البحيرة.

وفي رجب كملت أربعة مجانيق واحد لقلعة دمشق وثلاثة تحمل إلى الكرك، ورمي باثنين عند باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكز والعامة.

وفي شعبان تكامل حفر النهر الذي عمله سودي نائب حلب بها، كان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع في عرض ذراعين وعمق ذراعين، وغرم عليه ثلاثمائة ألف درهم، وعمل بالعدل ولم يظلم فيه أحداً.

وفي يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلبان التتري.

وحج صاحب حماة في هذه السنة وخلق من الروم والغرباء وغيرهم.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي الحجة وصل القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك.

وراح معين الدين بن الحشيش إلى مصر في رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت المناشير بمقتضى إراكة الإقطاعات الشامية على ما رآه السلطان بعد نظره في ذلك

بنفسه أربعة أشهر.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام المحدث: فخر الدين أبو عمرو

■ **عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزري** بمكة، يوم الأحد حادي عشر ربيع الآخر، وقد سمع الكثير، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها، وقرأ صحيح البخاري أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله.

■ **(محمد بن أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي).**

عز الدين محمد بن العدل: شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك، وكان من أخصاء أمين الملك، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعذراوية ليحضر على البريد، فمرض فمات بالمدرسة العذراوية، ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة، وله من العمر خمس وثلاثون سنة.

وكان قد سمع من ابن طبرزد والكندي، ودفن من الغد بباب الصغير، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد، وعز الدين.

الشيخ الكبير المقرئ: تقي الدين

■ **المقصاتي**، هو أبو بكر بن عمر بن المشيّع الجزري، المعروف بالمقصاتي، نائب الخطابة وكان يقرئ الناس القراءات من نحو خمسين سنة بالعراق والشام، وكان شيخا عارفاً بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ، وله إلمام بالنحو، وفيه ورع واجتهاد، توفي ليلة السبت حادي عشرين جمادى الآخرة، ودفن من الغد بسفح قاسيون، تجاه الرباط الناصري، وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم هم في التي قبلها، إلا الوزير أمين الملك فمكانه بدر الدين بن التركماني.

وفي رابع المحرم عاد الصاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين، وتلقاه أصحابه.

وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة، بحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء، يتضمن بإطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وستمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، فتضاعفت الأدعية للسلطان، وكان القارئ جمال الدين بن القلانسي، ومبلغه بدر الدين بن صبيح المؤذن، ثم قرئ في الجمعة الأخرى مرسوم آخر فيه الإفراج عن المسجونين، وأن لا يؤخذ من كل واحد سوى نصف درهم، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر والقصب وغيره عن الفلاحين، قرأه ابن الزملكاني وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجيبي.

وفي المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين علي البكري وهم بقتله، فشفع فيه الأمراء، فنفاه ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى، وشفع فيه أيضاً، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله، شفع فيه الأمراء، فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى، وذلك لاجترائه وتسرعه على التكفير والقتل، والجهل الحامل له على هذا وغيره.

وفي يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا سلطانيا على السدة، بحضرة نائب السلطان والقاضي، وفيه الأمر بإطلاق ضمان القواسين وضمان النبيذ وغير ذلك، فدعا الناس للسلطان.

وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر في أمر الشهود، ونهوهم عن الجلوس في المساجد، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين، وأن لا يتولوا ثبات الكتب، ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة، وأن لا يغتابوا أحداً، وأن يتناصفوا في المعيشة، ثم جلسوا مرة ثانية لذلك، وتواعدوا ثالثة فلم يتفق اجتماعهم، ولم يقطع أحد من مركزه.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه عقد المجلس في دار ابن صَصْرَى لبدر الدن بن بصخان، وأنكر عليه شيء من القراءات، فالتزم بترك الإقراء بالكلية، ثم استأذن بعد أيام في الإقراء فأذن له، فجلس بين الظهر والعصر بالجامع، وصارت له حلقة على العادة.

وفي منتصف رجب توفي نائب حلب الأمير سيف الدين سودي، ودفن بتربته، وتولى مكانه علاء الدين ألطنبغا الصالحي الحاجب بمصر، قبل هذه النيابة.

وفي تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنقابة الأشراف، بعد والده أمين الدين جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني، بحكم وفاة أبيه في الشهر الماضي، وقد كان رئيساً كبيراً.

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوباج بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بتربته المشهورة بسفح قاسيون، وكان قد قصد الحج في هذا العام، فلما كان بغباغب أدركته منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان، فحمل إلى دمشق، وصلي عليه، ودفن في هذه التربة، اشتريت له وتممت، وجاءت حسنة، وهي مشهورة عند المكارية شرقي الجامع المظفري، وكان له في مملكة كيلان خمس وعشرون سنة، وعمر أربعا وخمسين سنة، وأوصى أن يحج عنه جماعة ففعل ذلك، وخرج الركب في ثالث شوال، وأميره سيف الدين سنقر الإبراهيمي، وقاضيه محيي الدين قاضي الزبداني.

وفي يوم الخميس سابع ذي القعدة قدم القاضي بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق فخلع عليه، عوضاً عن فخر الدين سليمان البصراوي، عزل فسافر سريعا إلى البرية، ليشتري خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور، فاتفق موته في البرية في سابع عشر من الشهر المذكور، وحمل إلى بصرى فدفن بها عند أجداده، في ثامن ذي القعدة. وكان شابا حسناً، كريم الأخلاق، حسن الشكل.

وفي أواخره مسك نائب صفت بلبان طُرُنا المنصوري، وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلبان البدري.

وفي سادس ذي الحجة باشر ولاية البر الأمير علاء الدين علي بن محمود بن معبد البعلبكي، عوضاً عن شرف الدين عيسى بن البرطاسي.

وفي يوم عيد الأضحى وصل الأمير علاء الدين بن صبح من مصر، وقد أفرج عنه، فسلم عليه الأمراء وفرحوا به وهنؤوه بالسلامة.

وفي هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر، وخلع عليه وعلى الصاحب بهاء الدين النشائي بنظر الخزانة، عوضاً عن سعد الدين حسن بن الأقفاصي.

وفيه وردت البريدية بأمر السلطان للجيوش الشامية بالمسير إلى حلب، وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكز نائب الشام، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل، عليهم الأمير سيف الدين بكتمر الأبو بكري، وفيهم قجليس وبدر الدين الوزيري، وكشلي وابن طيبرس وساطي وابن سلار وغيرهم،

فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدي نائب الشام تنكز.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **سودي نائب حلب في رجب:** ودفن بتربته، وهو الذي كان سببا في إجراء النهر إليها، غرم عليه ثلاثمائة ألف درهم، وكان مشكور السيرة، حميد الطريقة، رحمه الله.

وفي شعبان توفي:

الصاحب شرف الدين:

■ **يعقوب بن مزهر،** وكان باراً بأهله وقرابته، رحمه الله.

والشيخ رشيد الدين أبو الفداء

■ **إسماعيل بن محمد القرشي الحنفي،** المعروف بابن المعلم، كان من أعيان الفقهاء والمفتين، ولديه علوم شتى، وفوائد وفرائد، وعنده زهد، وانقطاع عن الناس، وقد درس بالبلخية مدة، ثم تركها لولده وسار إلى مصر فأقام بها، وقد عرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل، وقد جاوز التسعين من العمر، توفي سحر يوم الأربعاء، خامس رجب، ودفن بالقرافة، رحمه الله تعالى.

وفي شوال توفي:

الشيخ

■ **سليمان التركماني: المولة** الذي كان يجلس على مصطبة بالعلبيين، وكان قبل ذلك مقيما بطهّارة باب البريد، وكان لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها، ولا يصلي الصلوات ولا يأتيها، وكان بعض الناس من الهمج له فيه عقيدة وهذه قاعدة الهمج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق من المولهين والمجانين، ويزعمون أنه يكاشف، وأنه رجل صالح، ودفن بباب الصغير في يوم كثير الثلج.

وفي يوم عرفة توفيت:

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة:

أم زينب

■ **فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادية** بظاهر القاهرة، وشهدها خلق كثير، وكانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مؤاخاتهم النساء والمردان، وتنكر أحوالهم وأحوال أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية، فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها، وهي التي ختمت نساء كثيراً القرآن، منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المزي، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أمة الرحيم زينب رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام في البلاد هم المذكورون في التي قبلها.

فتح ملطية

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج الأمير سيف الدين تنكز بالجيوش قاصداً ملطية، وخرجت الأطلاب على راياتها، وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب، وكان يوما مشهوداً، وخرج مع الجيش ابن صَصْرَى، لأنه قاضي العساكر، وقاضي القضاة الشافعية، فساروا حتى دخلوا حلب، في الحادي عشر من الشهر، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية، فشرعوا في محاصرتها يوم الحادي والعشرين من المحرم، وقد حصنت ومنعت، وغلقت أبوابها، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضيها وطلبوا الأمان، فأمنوا المسلمين ودخلوها، فقتلوا من الأرمن خلقا ومن النصارى، وأسروا ذرية كثيرة، وتعدى ذلك إلى بعض المسلمين، وغنموا شيئاً كثيرا وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام، يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم إلى عين تاب إلى مرج دابق، وزينت دمشق، ودقت البشائر.

وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان.

وفي نصف الشهر وصل قاضيها الشريف شمس الدين ومعه خلق كثير من المسلمين من أهلها.

وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نائبها الأمير تنكز الناصري، أعزّه الله تعالى، وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية، وخرج الناس للفرجة عليه على العادة، وأقام المصريون قليلا ثم ترحلوا إلى القاهرة، وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان، أطلقها له ملك التتر، فاستناب بها رجلا كرديا، فتعدى وأساء وظلم، وكاتب أهلها السلطان الملك الناصر، وأحبوا أن يكونوا من رعيته، فلما ساروا إليها وأخذوها وفعلوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فعمرها، ورد إليها خلقا كثيرا من الأرمن وغيرهم.

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمسك بكتمر الحاجب، وأيدغدي شقير وغيرهما، وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر، وذلك لأنهم اتفقوا على السلطان، فبلغه الخبر فمسكهم، واحتيط على أموالهم وحواصلهم، وظهر لبكتمر أموال كثيرة وأمتعة، وأخشاب وحواصل كثيرة، وقد قدم قجليس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس، ثم قدم سريعا ومعه الأمير سيف الدين تمر نائب طرابلس تحت الحوطة، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري، فحمل الأول إلى القاهرة، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كستاي، وحمل الثاني إلى الكرك وحزن الناس عليه ودعوا له.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن ميسر دمشق محتسبا وناظر الأوقاف، وانصرف ابن الحداد عن الحسبة، وبهاء الدين بن عليمة عن نظر الأوقاف.

وفي ليلة الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشنباشي داخل باب الصغير، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضي ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضا عن قاضي القضاة الحنفي البصروي، وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة، وخلق حسن، كان قاضيا بملطية وخطيبا بها نحوا من عشرين سنة.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة،

واستمر ابن ميسر ناظر الأوقاف.

وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درس ابن صَصْرَى بالأتابكية، عوضاً عن الشيخ صفي الدين الهندي.

وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزملكاني درس الظاهرية الجوانية، عوضاً عن الهندي أيضا، بحكم وفاته كما ستأتي ترجمته.

وفي أواخر رجب أخرج الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من سجن القاهرة، وأعيد إلى الإمرة بها.

وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد آمد، وفتحوا بلدانا كثيرة، وقتلوا وسبوا، وعادوا سالمين، وخمسوا ما سبوا، فبلغ سهم الخمس أربعة آلاف رأس وكسور.

وفي أواخر رمضان وصل قراسنقر المنصوري إلى بغداد، ومعه زوجته الخاتون بنت أبغا ملك التتر، وجاء إلى خدمة خربندا، واستأذنه في الغارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له، ووثب عليه رجل فداوي من جهة صاحب مصر، فلم يقدر عليه وقتل الفداوي.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرين رمضان درس بالعادلية الصغيرة الفقيه الإمام فخر الدين محمد بن علي المصري، المعروف بابن كاتب قطلوبك، بمقتضى نزول مدرسها كمال الدين بن الزملكاني له عنها، وحضر عنده القضاة والأعيان والخطيب وابن الزملكاني أيضا.

وفي هذا الشهر كملت عمارة القيسارية، المعروفة بالدهشة عند الوراقين واللبادين، وسكنها التجار، فتميزت بذلك أوقاف الجامع، وذلك بمباشرة الصاحب شمس الدين.

وفي ثامن شوال قتل أحمد الرويس شهد عليه بالعظائم من ترك الواجبات، واستحلال المحرمات، واستهانته وتنقصه بالكتاب والسنة، فحكم المالكي بإراقة دمه وإن أسلم، فاعتقل ثم قتل لعنه الله.

وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامي، وأميره سيف الدين طقتمر المرساوي، وقاضيه قاضي ملطية.

وحج فيه قاضي حماة وحلب وماردين، ومحيي الدين كاتب ملك الأمراء تنكز، وصهره فخر الدين المصري، وتقي الدين الفاضلي.

وفي ثامن ذي الحجة ولد للسلطان ولد ذكر فزينت البلاد له.

وممن توفي فيها من الأعيان

شرف الدين أبو عبد الله: محمد بن العدل عماد الدين محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي

■ ابن القلانسي، ولد سنة ست وأربعين وستمائة، وباشر نظر الخاص، وقد شهد قبل ذلك في القيمة ثم تركها، وقد ترك أولاداً وأموالا جمة، توفي ليلة السبت، ثاني عشر صفر، ودفن بقاسيون.

الشيخ صفي الدين الهندي: أبو عبد الله

■ محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي، الشافعي المتكلم، ولد بالهند سنة أربع وأربعين وستمائة، واشتغل على جده لأمه، وكان فاضلا، وخرج من دهلي في رجب، سنة سبع وستين، فحج وجاور بمكة أشهراً، ثم دخل اليمن، فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار، ثم دخل مصر، فأقام بها أربع سنين، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية، فأقام إحدى عشرة سنة بقونية خمسا وبسيواس خمسا، وبقيسارية سنة، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها، واستوطنها، ودرس بالرواحية والدولعية والظاهرية والأتابكية، وصنف في الأصول والكلام، وتصدى للاشتغال والإفتاء، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية، وكان فيه بر وصلة.

توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرين صفر، ودفن بمقابر الصوفية، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات، فدرس بعده فيها ابن الزملكاني، وأخذ ابن صَصْرَى الأتابكية.

القاضي المسند المعمر الرحلة: تقي الدين

■ سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق، ولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، وقرأ بنفسه، وتفقه وبرع، وولي الحكم وحدث، وكان من خيار الناس، وأحسنهم خلقاً، وأكثرهم مروءة.

توفي فجأة بعد مرجعه من البلد وحكمه بالجوزية، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله، ومات عقيب صلاة المغرب، ليلة الاثنين حادي عشرين ذي القعدة، ودفن من الغد بتربة جده، وحضر جنازته خلق كثير، وجم غفير رحمه الله.

■ (علي بن علي الحريري).

الشيخ علي ابن الشيخ علي الحريري: كان مقدما في طائفته، مات أبوه وعمره ستان، توفي في قرية بسر في جمادى الأولى.

الحكيم الفاضل البارع: بهاء الدين

■ عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال، المتشرف بالإسلام، ثم قرأ القرآن جميعه، لأنه أسلم على بصيرة، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم، وكان مباركا على نفسه وعليهم، وكان قبل ذلك ديان اليهود، فهداه الله تعالى.

وتوفي يوم الأحد سادس جمادى الآخرة، ودفن من يومه بسفح قاسيون، أسلم على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية، لما بين له بطلان دينهم وما هم عليه، وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الكلم عن مواضعه رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في السنة الماضية.

وفي المحرم تكملت تفرقة المثالات السلطانية بمصر بمقتضى إراكة الأخباز، وعرض الجيش على السلطان، وأبطل السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية.

وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية ببعلبك بسبب العقائد، وترافعوا إلى دمشق، فحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز، فأصلح بينهم، وانفصل الحال على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم.

وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مسلم ابن مالك بن مزروع الحنبلي، بقضاء الحنابلة والنظر في أوقافهم، عوضاً عن التقي سليمان بحكم وفاته رحمه الله، وتاريخ التقليد من سادس ذي الحجة، وقرئ بالجامع الأموي، بحضور القضاة والصاحب والأعيان، ثم مشوا معه وعليه الخلعة إلى دار السعادة،

فسلم على النائب، وراح إلى الصالحية، ثم نزل من الغد إلى الجوزية، فحكم بها على عادة من تقدمه، واستناب بعد أيام الشيخ شرف الدين ابن الحافظ.

وفي يوم الاثنين سابع صفر المذكور وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر على البريد، ومعه توقيع بعود الوكالة إليه، فخلع عليه، وسلم على النائب والخلعة عليه.

وفي هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلانسي، واعتقل بالعذراوية، وصولح بخمسين ألفا، ثم أطلق له ما كان أخذ منه، وانفصل من ديوان نظر الخاص.

وفي ربيع الآخر وصل من مصر الأمير فضل بن عيسى ومعه تقليد بإمرة العرب عوضاً عن أخيه مهنا بن عيسى وأجري له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات جيدة، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التتر، واجتماعهم بملكهم خربندا.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين جمادى الأولى باشر ابن صَصْرَى مشيخة الشيوخ بالسميساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من نائب السلطنة، فحضرها وحضره عنده الأعيان في هذا اليوم، عوضاً عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق، وهو الكاشغري، توفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية.

وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى المعروف بابن عليمة الحنفي وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين، عوضا عن شمس الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن المظفر بن صدقة بن الحظيري الحاسب الكاتب توفي، وقد كان مباشرا عدة من الجهات الكبار، مثل نظر الخزانة، ونظر الجامع، ونظر المارستان وغير ذلك، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي نظار ديوان نائب السلطنة من كان، وصارت عادة مستمرة.

وفي رجب نقل نائب حمص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير سيف الدين التركستاني بحكم وفاته، وولي الأمير سيف الدين إزقطاي إلى نيابة حمص، وسار إليها من دمشق في يوم الأحد سابع رجب وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصري، عوضاً عن سيف الدين بيبغا.

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب درس بالنجيبية القاضي شمس الدين الدمشقي، عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن الظاهر العجمي الحلبي، سبط الصاحب كمال الدين بن العديم، توفي ودفن عند خاله ووالده بتربة العديم.

وفي أواخر شعبان وصل القاضي شمس الدين بن عز الدين يحيى الحراني أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغني، إلى دمشق متولياً نظر الأوقاف بها، عوضاً عن الصاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن ميسّر، توفي في مستهل رجب بدمشق، وقد باشر نظر الدواوين بها وبمصر، والحسبة وبالإسكندرية وغير ذلك، ولم يكن بقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق، مات وقد قارب الثمانين، ودفن بقاسيون.

وفي تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري، الساكن عند دار الطراز بدمشق.

وحج من مصر سيف الدين أرغون الدوادار، وقاضي القضاة ابن جماعة، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله، وكان قد رأس وعظم شأنه.

وفي ذي القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس، فغاب عشرين يوماً.

وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى دمشق من مصر، وقد كان معتقلا في السجن فأطلق وأكرم وولي نيابة صفد، فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق، ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق، فولى فيها ابن صَصْرَى شرف الدين النهاوندي، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك، ووصل مع بكتمر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزرعي، متوليا الخزانة بالقلعة، عوضا عن الطواشي ظهير الدين مختار البُلبيسي توفي.

وفي هذا الشهر أعني ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التتر خربندا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكوقان ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرّانة وديار بكر، توفي في السابع والعشرين من رمضان، ودفن بتربته بالمدينة التي أنشأها، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر.

وكان موصوفا بالكرم، ومحبا للهو واللعب والعمائر، وأظهر الرفض في بلاده، أقام سنة على السنة، ثم تحول إلى الرفض، فأقام شعائره، في بلاده، وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي، تلميذ نصير الدين الطوسي، وأقطعه عدة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة، وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام،فأراح الله منه العباد والبلاد.

وقام في الملك بعده ولده بو سعيد، وله إحدى عشرة سنة، ومدبر الجيوش والممالك له الأمير جوبان، واستمر في الوزارة على شاه التبريزي، وأخذ أهل دولته بالمصادرة، وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموما، ولعب كثير من الناس به في أول دولته، ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة، فأمر بإعادة الخطبة بالترضي عن الشيخين أولا، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ففرح الناس بذلك، وسكنت بذلك الفتن والشرور، والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد بهراة وأصبهان وبغداد وإربل وساوه وغير ذلك، وكان صاحب مكة الأمير حُميضة بن أبي نُمَيٍّ الحسني، قد قصد ملك التتر خربندا، لينصره على أهل مكة، فساعده الروافض هناك، وجهزوا معه جيشا كثيفا من خراسان لأجل ذلك، فلما مات خربندا بطل ذلك بالكلية، وعاد حُميضة خائبا خاسئا، وفي صحبته أمير من كبار الروافض من التتر يقال له الدلقندي، وقد جمع لحميضة أموالا كثيرة، ليقيم بها الرفض بذلك في بلاد الحجاز، فوقع بهما الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا، وقد كان مهنا في بلاد التتر أيضاً ومعه جماعة من العرب، فقهرهما ومن كان معهما، ونهب ما كان معهما من الأموال، وتفرق الرجال، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة الإسلامية، فرضي عنه السلطان الملك الناصر وأهل دولته، وغسل ذلك ذنبه عنده، فاستدعى به السلطان إلى حضرته، فحضر سامعا مطيعا، فأكرمه نائب الشام، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضاً، ثم إنه استفتى الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التي أخذت من الدلقندي، فأفتاهم بأنها تصرف في المصالح التي يعود نفعها على المسلمين لأنها كانت معدة لعناد الحق، ونصرة أهل البدعة على السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان

■ خربندا ملك التتار كما تقدم

و■ عز الدين بن ميسّر.

و■ الشهاب الكاشغري شيخ الشيوخ.

و■ شمس الدين بن الحظيري.

و■ البهاء العجمي مدرس النجيبية:

وفيها قتل خطيب المزة قتله رجل جبلي، ضربه بفأس اللجام في رأسه في السوق، فبقي أياما ومات، وأخذ القاتل فشنق في السوق الذي قتل فيه، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن هناك، وقد جاوز الستين.

الشرف

■ صالح بن محمد بن عريشاه بن أبي بكر الهمذاني، مات في جمادى الآخرة، ودفن بمقابر النيرب، وكان مشهوراً بطيب القراءة، وحسن السيرة، وقد سمع الحديث، وروى جزء صاحب التذكرة الكندية.

الشيخ الإمام، المقرئ المحدث، النحوي الأديب، علاء الدين

■ علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الإسكندراني، ثم الدمشقي، سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ، وقرأ القراءات السبع، وحصل علوماً جيدة، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق، وجمع كتابا في نحو من خمسين مجلداً، فيه علوم جمة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية، وقفها بالسميساطية، وكتب حسنا، وحسب جيداً، وخدم في عدة خدم، وولي مشيخة دار الحديث النفيسية في مدة عشر سنين، وقرأ صحيح البخاري مرات عديدة، وأسمع الحديث، وكان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتوفي ببستانه عند قبة المسجُف، ليلة الأربعاء سابع عشر رجب، ودفن بالمزة عن ست وسبعين سنة.

■ الطواشي ظهير الدين مختار: البلبيسي الخزندار بالقلعة، وأحد أمراء الطبلخاناه بدمشق، كان ذكيا، خيرا فاضلا، يحفظ القرآن ويؤديه بصوت طيب، ووقف مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق، ورتب لهم الكسوة والجامكية، وكان يمتحنهم بنفسه، ويفرح بهم، وعمل له تربة خارج باب الجابية، ووقف عليها المقرئين وبنى عندها مسجدا حسنا ووقفه بإمام، وهي من أوائل ما عمل من الترب، بذلك الخط، ودفن بها في يوم الخميس عاشر شعبان رحمه الله.

وقدكان حسن الشكل والأخلاق، عليه سكينة، ووقار وهيبة، وله وجاهة في الدولة سامحه الله، وولي بعده الخزانة سُميه ظهير الدين مختار الزرعي.

الأمير بدر الدين:

■ محمد بن الوزيري، كان من الأمراء المقدمين، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر، وكان حاجب الميسرة، وتكلم في الأوقاف، وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين، ثم نقل إلى دمشق فمات بها، في سادس عشر شعبان، ودفن بميدان الحصى، فوق خان النجيبي، وخلف تركة عظيمة.

الشيخة الصالحة

■ ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا راوية صحيح البخاري وغيره، جاوزت التسعين سنة، وكانت من الصالحات، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان، ودفنت بتربتهم، فوق جامع المظفري بقاسيون.

■ (علي بن تقي الدين بن دقيق العيد).

القاضي محب الدين: أبو الحسن علي ابن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، استنابه أبوه في أيامه، وزوجه بابنة الحاكم بأمر الله، ودرس بالكهّارية ورأس بعد أبيه، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشر رمضان، وقد قارب الستين، ودفن عند أبيه بالقرافة.

الشيخة الصالحة المعتمرة

■ ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية، عمرت فوق السبعين سنة، وكانت من الصالحات ولدت تسعة بنين ولم ولم ترزق بنتا قط، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال، ودفنت بالصوفية، وحضر جنازتها خلق كثير، وجم غفير رحمها الله.

الشيخ نجم الدين

■ موسى بن علي بن محمد: الحلبي ثم الدمشقي، الكاتب الفاضل، المعروف بابن البصيص، شيخ صناعة الكتابة في زمانه، لا سيما في المزوّج والمثلث، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة، وأنا ممن كتب عليه أثابه الله الجنة، وكان شيخا حسنا، بهي المنظر، يشعر جيداً، توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة، ودفن بمقابر الباب الصغير، وله خمس وستون سنة.

الشيخ

■ تقي الدين الموصلي: أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة، وشيخ ميعاد بن عامر مدة طويلة، وقد انتفع الناس به نحواً من خمسين سنة في التلقين والقراءات، وختّم خلقا كثيراً، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليالي ختمهم وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً، توفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي القعدة، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

■ (محمد بن سلامة بن سالم الماليني).

الشيخ الصالح الزاهد المقرئ: أبو عبد الله محمد ابن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن ينبوب الماليني، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق، سمع الحديث، وأقرأ الناس نحوا من خمسين سنة، وكان يفصّح الأولاد في الحروف الصعبة، وكان مبتلى في فمه، يحمل طاسة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره، وقد جاوز الثمانين بأربع سنين، توفي بالمدرسة الصارمية، يوم الأحد ثاني عشرين ذي القعدة، ودفن بباب الصغير بالقرب من القلندرية، وحضر جنازته خلق كثيراً جداً نحو من عشرة آلاف رحمه الله تعالى.

■ (ابن المرحّل).

الشيخ صدر الدين بن الوكيل: هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكي بن عبد الصمد، المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل، شيخ الشافعية في زمانة، وأشهرهم في وقته بالفضيلة، وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل، والافتنان بالعلوم العديدة، وقد أجاد معرفة المذهب والأصلين، ولم يكن بالنحو بذاك القوي، يقع منه اللحن الكثير، مع أنه قرأ فيه المفصل للزمخشري، وكانت له محفوظات كثيرة.

ولد في شوال سنة خمس وستين وستمائة، وسمع الحديث على المشايخ، من ذلك مسند الإمام أحمد علي بن علان، والكتب الستة، وقرئ عليه قطعه كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث، عن الأمير الإربلي والعامري والمزي.

وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة، من الطب

والفلسفة وعلم الكلام، وليس ذلك بعلم، وعلوم الأوائل، وكان يكثر من ذلك.

وكان يقول الشعر جيداً، وله ديوان مجموع، مشتمل على أشياء لطيفة، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه، وآخرون يحسدونه ويبغضونه، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء، ويرمونه بالعظائم، وقد كان مسرفا على نفسه، قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش.

وكان ينصب العداوة للشيخ تقي الدين بن تيمية ويناظره في كثير من المحافل والمجالس، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويثني عليه، ولكنه كان يجانف عن مذهبه وناحيته وهواه، وينافح عن طائفته.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يثني عليه، وعلى علومه وفضائله، ويشهد له بالإسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة، وكان يقول: كان مخلطا على نفسه، متبعا مراد الشيطان منه، يميل إلى الشهوة والمحاضرة، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسده ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معناه.

وقد درس بعدة مدارس بمصر والشام، ودرس بدمشق بالشاميتين، والعذراوية، ودار الحديث الأشرفية، وولي في وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده، ولم يرق منبرها.

ثم خالط نائب السلطنة الأفرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن، ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب، لاستحواذه على قلب نائبها، فأقام بها ودرس، ثم تردد في الرسلية بين السلطان ومهنا صحبة أرغون والطنبغا، ثم استقر به المنزل بمصر، ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها، بكرة نهار الأربعاء رابع عشرين ذي الحجة، بداره قريباً من جامع الحاكم، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي جمرة، بتربة القاضي ناظر الجيش بالقرافة، ولما بلغت وفاته دمشق صلي عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة، ثالث المحرم من السنة الآتية، ورثاه جماعة منهم ابن غانم علاء الدين، والقحفازي، والصفدي، لأنهم كانوا من عشرائه.

وفي يوم عرفة توفي:

الشيخ عماد الدين

■ إسماعيل الفوعي: وكيل قجليس، وهو الذي بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية، وكانت فيه نهضة وكفاية، وكان من بيت الرفض، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة، فضربه بين يديه، وقام النائب إليه بنفسه، فجعل يضربه بالمهاميز في وجهه، فرفع من بين يديه وهو تالف، فمات في يوم عرفة، ودفن من يومه بسفح قاسيون، وله دار ظاهر باب الفراديس.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي صفر منها شرع في عمارة الجامع الذي أنشأه ملك الأمراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر، تجاه حكر السماق، على نهر بانياس بدمشق، وتردد القضاة والعلماء في تحرير قبلته، فاستقر الحال في أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية في يوم الأحد الخامس والعشرين منه، وشرعوا في بنائة بأمر السلطان، ومساعدته لنائبه في ذلك.

وفي صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من الناس، وخرب دورا وعمائر كثيرة، وذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر.

وملخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم رعد وبرق عظيم معهما مطر وبرد، فسالت الأودية، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال بشرق مقدار أربعين ذراعاً، مع أن سمك الحائط خمسة أذرع، وحمل برجاً صحيحاً، ومعه من جانبيه، بعض بدنيتين، فحمله كما هو، حتى مر وحفر في الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعاً، وحمل السيل ذلك إلى غربي البلد، لا يمر على شيء إلا أتلفه، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فأتلف ما يزيد على ثلثها، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف، ثم قوى على حائطه الغربي فأخربه، وأتلف جميع ما فيه من الحواصل، والكتب والمصاحف، وأتلف شيئا كثيراً من رباع الجامع، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وغرق في الجامع الشيخ علي بن محمد ابن الشيخ علي الحريري، هو وجماعة معه من الفقراء، ويقال كان من جملة من هلك بالغرق في هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون نفسا سوى الغرباء، وجملة الدور التي خربها والحوانيت التي أتلفها نحو من ستمائة دار وحانوت، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستاناً، ومن الطواحين ثمانية، وسوى الجامع والأمينية، وأما الأماكن التي دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جداً.

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها من مدد، وغرق بلاداً كثيراً، وهلك فيها ناس كثيراً أيضاً، وغرق منية الشيرج فهلك للناس فيها شيء كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي مستهل ربيع الآخر جلس السلطان أبو سعيد بن خربندا علي تخت المملكة بالمدينة السلطانية.

وفي ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فنهبوا وسبوا وعادوا سالمين.

وفي يوم السبت تاسع عشرين منه قدم قاضي المالكية إلى الشام من مصر، وهو الإمام العلامة فخر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الإسكندري المالكي، على قضاء دمشق، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين الزواوي، لضعفه واشتداد مرضه، فالتقاه القضاة والأعيان، وقرئ تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله، وهو مؤرخ بثاني عشر الشهر، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي درس بالجامع في مستهل جمادى الأولى، وحضر عنده الفقهاء والأعيان والقضاة، وشكرت فضائله وعلومه، ونزاهته وصرامته وديانته.

وبعد ذلك بتسعة أيام توفي الزواوي المعزول، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك، وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان، وكان سجنه بها مطاوعة لإشارة نائب الشام، بسبب ما كان وقع بينهما بملطية، وخرج المحمل في يوم الخميس تاسع شوال، وأمير الحج سيف الدين كجكن المنصوري، وممن حج قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى، وابن أخيه شرف الدين، وكمال الدين بن الشيرازي، والقاضي جلال الدين الحنفي، والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق.

وفي سادس هذا الشهر درس بالجاروخية القاضي جمال الدين محمد ابن

الشيخ كمال الدين الشريشي بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام، وحضر عنده الأعيان.

وفي التاسع عشر منه درس ابن الزملكاني بالعذراوية، عوضاً عن ابن سلام.

وفيها درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له في ذلك، بعد وفاة أخيهما لأمهما بدر الدين قاسم بن محمد بن خالد، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج، وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية الدرس بنفسه، وحضر عنده خلق كثير من الأعيان وغيرهم حتى عاد أخوه، وبعد عوده أيضاً، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الخمور والفواحش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك، وبنيت بقرى النصيرية في كل قرية مسجد ولله الحمد والمنة.

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الإمام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي على البريد من مصر إلى دمشق متولياً كتابة السر بها، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله تعالى.

وفي ذي القعدة يوم الأحد درس بالصمصامية التي جددت للمالكية وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين غبريال درساً ودرس بها فقهاً، وعين تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين علي بن عبد النصير المالكي، وحضر عنده القضاة والأعيان، وممن حضر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان يعرفه من إسكندرية.

وفيه درس بالدخوارية الشيخ جمال الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال، ورتب في رياسة الطب عوضاً عن أمين الدين سليمان الطبيب، بمرسوم نائب السلطنة تنكز، واختاره لذلك.

واتفق أنه في هذا الشهر تجمع جماعة من التجار بماردين وانضاف إليهم خلق من الجفال من الغلا قاصدين بلاد الشام، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستون فارساً من التتار فمالوا عليهم بالنشاب وقتلوهم عن آخرهم، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبياً، فقالوا من يقتل هؤلاء؟ فقال واحد منهم: أنا بشرط أن تنفلوني بمال من الغنيمة، فقتلهم كلهم عن آخرهم، وكان جملة من قتل من التجار ستمائة، ومن الجفال ثلاثمائة من المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وردموا بموتاهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركماني، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع، فاجتهد متسلم ديار بكر سوتاي في طلب أولئك التتر حتى أهلكهم عن آخرهم، ولم يبق منهم رجلٌ واحد، لا جمع الله بهم شملا ولا بهم مرحباً ولا أهلا، آمين يا رب العالمين.

صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة

وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله، وتارة يدعي أنه علي بن أبي طالب فاطر السماوات والأرض، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتارة يدعي أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وصرح بكفر المسلمين، وأن النصيرية على حق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال، وعين لكل إنسان منهم تقدمة ألف، وبلاد كثيرة ونيابة القلعة، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقاً كثيرة من أهلها، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وسبُّوا الشيخين، فصاح أهل البلد وا إسلاماه، وا سلطاناه وا أميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد، وجعلوا يبكون، ويتضرعون إلى الله عز وجل، فجمع هذا الضال تلك الأموال، فقسمها على أصحابه وأتباعه، قبحهم الله أجمعين، وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة، ولو لم يبق معي سوى عشرة أنفس لملكنا البلاد كلها. ونادى في تلك البلاد أن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب الفلاحين فيه وأمر أصحابه بخراب المساجد، واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي، الذي يحيي ويميت، حتى تحقن دمك، ويكتب لك فرمان، وتجهزوا، وعملوا أمراً عظيما جداً، فجردت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً وقتل المهدي الذي أضلهم، وهو يكون يوم القيامة مقدمهم وهاديهم إلى عذاب السعير، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ - ٤].

وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا، وولده سليمان في ستة آلاف، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف، ولم يجتمع مهنّا بأحد من المصريين ولا الشاميين، وقد كان في المصريين قجليس وغيره، والله أعلم.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح: أبو الحسن

■ علي بن محمد بن عبد الله الجُبَّني كان فاضلا، وكتب حسنا، ونسخ التنبيه، والعمدة، وغير ذلك، وكان الناس ينتفعون به، ويقابلون معه، ويصححون عليه، ويجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع، توفي ليلة الاثنين، سادس المحرم، ودفن بالصوفية، وقد صححت عليه في العمدة وغيرها.

الشيخ شهاب الدين الرومي:

■ أحمد بن محمد بن إبراهيم المراغي، درس بالمعينية، وأم بمحراب الحنفية بمقصورتهم الغربية، إذ كان محرابهم هناك، وتولى مشيخة الخاتونية، وكان يؤم بنائب السلطنة الأفرم، وكان يقرأ حسنا بصوت مليح، وكانت له مكانة عنده، وربما راح إليه الأفرم ماشياً حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأها بالشرف الشمالي على الميدان الكبير، ولما توفي بالمحرم ودفن بالصوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه.

الشيخ الصالح العدل: فخر الدين

■ عثمان بن أبي الوفا بن نعمة الله الأعزازي، كان ذا ثروة من المال، كثير المروءة والتلاوة، أدى الأمانة في ستين ألف دينار وجواهر، حيث لا يعلم بها إلا الله عز وجل، بعد ما مات صاحبها مجرداً في الغزاة، وهو عز الدين الجراحي نائب غزة، أودعه إياها فأداها إلى أهلها أثابه الله، ولهذا لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك، ودفن بباب الصغير رحمه الله.

قاضي القضاة: جمال الدين أبو عبد الله

■ محمد بن سليمان بن سومر الزواوي قاضي المالكية بدمشق، من سنة سبع وثمانين وستمائة.

قدم مصر من المغرب، واشتغل بها، وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم قدم دمشق قاضياً في سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان مولده تقريباً في سنة تسع وعشرين وستمائة وأقام شعار مذهب مالك، وعمر الصمصامية في أيامه، وجدده عمارة النورية، وحدث بصحيح مسلم، وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك، وكتاب الشفا للقاضي عياض، وعزل قبل وفاته بعشرين يوما عن القضاء، وهذا من خيره حيث لم يمت قاضياً.

توفي بالمدرسة الصمصامية، يوم الخميس، التاسع من جمادى الآخرة، وصلي عليه بعد الجمعة، ودفن بمقابر باب الصغير تجاه، مسجد النارنج، وحضر الناس جنازته، وأثنوا عليه خيراً، وقد جاوز الثمانين رحمه الله كمالك، ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً.

القاضي الصدر الرئيس رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد

■ **عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن مُجَلّي القرشي، العدوي العمري**، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة، وسمع الحديث، وخدم وارتفعت منزلته، حتى كتب الإنشاء بمصر، ثم نقل إلى كتابة سر دمشق، إلى أن توفي في ثاني رمضان، ودفن بقاسيون، وقد قارب التسعين، وهو ممتع بحواسه وقواه، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء، ولا سيما في ابن تيمية، وفي الصلحاء رحمه الله، وقد رثاه الشهاب محمود كاتب السر بعده بدمشق، وعلاء الدين بن غانم، وجمال الدين بن نباتة.

■ **(الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي).**

الفقيه الإمام العالم المناظر شرف الدين أبو عبد الله الحسين ابن الإمام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، واشتغل وبرع، وحصل ودرس بالجاروخية والعذراوية، وأعاد بالظاهرية، وأفتى بدار العدل، وكان واسع الصدر، كثير الهمة، كريم النفس، مشكوراً في فهمه، وخطه وحفظه، وفصاحته ومناظرته، توفي في رابع عشرين من رمضان، وترك أولاداً، ودِيناً كثيراً، فوفته عنه زوجته بنت زويزان، تقبل الله منها، وأحسن إليها.

الصاحب أنيس الملوك: بدر الدين

■ **عبد الرحمن بن إبراهيم الإربلي**، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، واشتغل بالأدب، فحصل على جانب جيد منه، وارتزق عند الملوك؛ به، فمن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله:

ومُدامَـــةٍ حمـــراءَ تُنْشَـــــ ... ـــبهُ خَـدَّ مَـنْ اهْـوَى ودَمْعِـي

يَنْـمَى بهـا قمـرٌ أعـزُّ ... عليَّ مِـن نَظَـرِي وسَـمْعِي

وقوله في مغنية:

وغَريـرةٍ هَيْفَـاءَ نَاعِمَـةِ السِّـنَا ... طـوعِ العِنَـاقِ مَريضَـةِ الأجْفَـانِ

غَنَّـتْ ومَـاسَ قِوَامُهَـا فَكَأنَّهَـا الـ ... ـوَرْقَـاءُ تَسْـجَعُ فَـوْقَ غُصْـنِ البَـانِ

■ **(محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن سالم بن صَصْرى).**

الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم ابن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى باشر عدة جهات، وخرج مع خاله قاضي القضاة ابن صَصْرَى إلى الحج ، فلما كانوا ببرَدى اعتراه مرض، ولم يزل به حتى مات، توفي بمكة وهو محرم ملبّ، فشهد الناس جنازته، وغبطوه بهذه الموتة.

توفي يوم الجمعة آخر النهار سابع ذي الحجة، ودفن ضحى يوم السبت، بمقبرة الحجون، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة

الخليفة والسلطان هما هما، وكذلك النواب والقضاة، سوى المالكي بدمشق فإنه العلامة فخر الدين بن سلامة، بعد القاضي جمال الدين الزواوي رحمه الله.

فيها وصلت الأخبار في المحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق وسنجار والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاء عظيم، وفناء شديد وقلة الأمطار،وجور التتار، وعدم الأقوات، وغلاء الأسعار، وقلة النفقات، وزوال النعم، وحلول النقم، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات، والحيوانات، والميتات، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك، حتى إن كثيرا من الناس كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين تأثما، فكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها لتنتفع بثمنه، ويحصل لها من يطعمه فيعيش، وتأمن عليه من الهلاك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وجرت في تلك البلاد أحوال صعبة يطول ذكرها، وتنبو الأسماع عن وصفها، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلكهم عن آخرهم، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار، فلما انتهوا إلى عقبة صعدها التتار ثم منعوهم أن يصعدوها لئلا يتكلفوا بهم فماتوا عن آخرهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وفي بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخاص السلطاني بالبلاد جميعها، قدم إلى دمشق فنزل، بدار السعادة، وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات، الذي يقال له جامع كريم الدين، وراح لزيارة بيت المقدس، وتصدق بصدقات كثيرة وافرة، وشرع ببناء جامع بعد سفره.

وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على بيوت مقدم تركمان، فأهلكت لهم شيئاً كثيراً من الأمتعة، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالي، وزوجته، وابنه، وابني ابنيه، وجاريته وأحد عشر نفساً، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها، وكسرت الأمتعة والأثاث، وكانت ترفع البعير في الهواء مقدار عشرة أرماح ثم تلقيه مقطعاً، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم، بحيث أتلف زروعاً كثيرة في قرى عديدة، نحو من أربع وعشرين قرية، حتى إنها لا ترد بذارها.

وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الخاصكي إلى نيابة صفد فأقيم بها شهرين مسك، والصاحب أمين الملك إلى نظر الدواوين بطرابلس على معلوم وافر.

قال الشيخ علم الدين وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الإمام العلامة تقي الدين بن تيمية، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، فقبل الشيخ نصيحته، وأجاب إلى ما أشار به، رعاية لخاطره وخواطر الجماعة المفتين، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، وعقد في ذلك مجلس، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان، ونودي به في البلد، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتيين الكبار، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الإفتاء، في مسألة الطلاق، فعلم